السنة السادسة عشرة   العدد ٦   حزيران ١٩١٣

المشرق

التذكار المئوي لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير

بحث تاريخي نظري للاب فلوريان لاثلي اليسوعي

انَّ في تاريخ البشريَّة احداثًا تسطع في سمائهِ سطوع الكواكب الزُّهر التي يستضيء بها المتحيّر ويرجع اليها لتقويم سيرهِ في البوادي والقفار · فتلك الوقائع على مثال النجوم اللامعة يسترشد بها الباحث لفكّ ألغاز التاريخ البشري وادراك فلسفتهِ الغامضة

ولا شكَّ في انَّ الواقع الذي تحتفل النصرانيَّة بذكرِ مئتهِ السادسة عشرة في السنة الجارية هو من هذا الصنف اذ هو امرٌ جَلَل في ذاتهِ وذو شأن عظيم في لواحقهِ وعواقبهِ نريد بهِ الحكم الملكي الذي ابرزهُ قسطنطين في ميلانو سنة ٣١٣ في اثر انتصارهِ على مكسنطيوس ودخولهِ الى عاصمة الدنيا رومية متفيئًا في ظلّ صليب المسيح فنشر قرارًا منح فيهِ الحرّيَّة التامَّة للدين المسيحي بعد ان قضى اتباعهُ ثلثمائة سنة يجاهدون في سبيله ويهرقون دماءهم في تعزيز رفعتهِ واعلاء منارهِ حتى استشهد منهم عدَّة ملايين لإثبات حقوقهِ المقدَّسة

وما احرى جيلنا الحالي ان يحيي تذكار ذاك الحادث الجليل بإزاء الحكومات العصريَّة لتقتفي بآثار قسطنطين وتذود عن حمى الدين القويم • والحقّ يقال انَّ قسطنطين لم يكن موجداً لحقوق الكنيسة لانَّ الكنيسة نالت تلك الحقوق من الله الذي انشأها وجهَّزها بكل اللوازم لحياتها وفرض على رُسلها وخلفائهم بان يبشّروا كل الامم ويدعوهم الى الايمان • وانَّما الفضل لقسطنطين لأنَّهُ ادرك تلك الحقوق وكان اوَّل من اعلن بها رسمياً وحكم بمراعاتها • وعلى مثالهِ جرى كثيرون من الملوك فاستحقُّوا بعملهم ان يصون الله حقوقهم كما صانوا حقوق كنيستهِ • وعلى خلاف ذلك لمَّا نبي ملوك الشعوب وزعماء الامم تلك الحقوق المقدَّسة فرفعوا عقبهم على احبار البيعة واضطهدوا ابناءها لم تلبث الدوائر ان تدور عليهم فهبطت بهم الفتن والثورات عن اوج عزّهم كما فعلوا بكنيسة المسيح

وعليهِ فانَّ هذا التذكار المئوي لجدير باعتبار كلّ الامم المسيحيَّة فيجب علينا ان تشكر الله الشكر الجميل على تحرير قسطنطين لكنيسة الربّ اذ اخرجها من الدياميس حيث كانت تعيش بالضنك والمحن ورفع سراجها على المنارة ليقتبس من انوارها العالم كلَّهُ وفتح كنوزها الالهيَّة لتستغني بها كلّ اقطار المعمور

ولكن ان كان يحقّ لجميع الامم ان تستبشر بهذا العيد المئوي فشرقنا العزيز احقّ بالفرح والشكرُ عليهِ اوجبُ لهُ اذ كانت وطأة الاضطهادات الاخيرة التي سبقت عهد قسطنطين اشدّ اذًى على نصارى الشرق حتَّى انَّ بعض اقطارهِ الشرقيَّة اتَّخذت تلك المحن كتاريخ ردَّت اليهِ وقائع بلادها

ومن ثمّ لا يسعنا نحن الشرقيين الآن نلبّي بسرعة الى صوت إمام الاحبار الذي دعا العالم الكاثوليكي الى احياء ذكر تلك النعمة الجزيلة في قلوب الجميع واسداء الشكر لعزَّتهِ تعالى اذ حرَّر كنيستهُ من ربقة ظلم الوثنيَّة واخرجها ظافرةً من ذاك النزاع المستطيل الذي كاد يمحو آثارها لولا مواعيدهُ عزَّ وجلَّ بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها

وقد اراد قداستهُ تنشيطاً للاشتراك بهذه الاعياد وتعميماً لبهجة حفلاتها ان يخصص لذكرها يوبيلاً عاماً في رومية العظمى اوَّلاً ثمَّ في كافَّة اقطار المعمور جعل مدَّتهُ ثمانية اشهر من الاحد الجديد في غرَّة نيسان الى ٨ كانون الاوَّل عيد الحبل

بالعذراء مريم بلا دنس منح فيه غفراناً كاملاً على شروط معلومة أعلن بها حضرة نائب القاصد الرسوليّ في الثغر ونشرتها جريدة البشير في تاريخ ١١ نيسان

وقد اخذت الجماهير الجمهرة تتوارد يوماً بعد يوم الى زيارة امّ المدائن وتتشرّف بمواجهة الحبر الاعظم الذي يستقبل الوفود بقلب يتوقّد حباً ويتأهّب غيرة على مجد الكنيسة

وممّا قرّره قداسته ان يشاد مشهدٌ مهيب على طراز هندسي بديع قريباً من جسر ملفيوس الممتدّ فوق نهر رومية المسمّى تيبر حيث تمّ انتصار الملك قسطنطين على جيش عدوّه مكسنطيس ليكون تذكاراً باقياً بعد هذه الاعياد لدى اهل القرون الآتية كما انّهُ اعزّهُ الله امر بان يُزاد عدد خدمة النفوس في الحيّ الجديد الذي توفّرت ابنيته وكثر اهلهُ عند ذاك المعبر وكان قبلاً قليل السكن لا يستلفت الانظار.

وقد تقدّم قداسة بيوس العاشر بان تُقام حفلات شائقة في بعض كنائس رومية. فافتتحت في ٣٠ آذار في الدياميس ذكراً للشهداء الذين اشتروا بدمهم حرّية النصرانيّة. ثمّ تبعتها حفلات غاية في الرونق في كنيسة مار يوحنّا اللاترانيّة التي فيها كرسي البابوات فدامت ثمانية ايام (٦—١٣ نيسان) . ثمّ أُقيمت حفلة ثانية في كنيسة الصليب الاورشليمي الملكيّة حيث يكرّم صليب الربّ توالت مدّة ثلاثة ايام (٢ — ٤ ايار). وفي ١١ منهُ احتفل الحبر الاعظم بقداس بابوي في كنيسة مار بطرس. وسوف تُختم هذه الحفلات بثلاثيّة في كنيسة مريم العذراء المعروفة بالكبرى في ٦ الى ٨ كانون الاوّل يوم الحبل الطاهر بالبتول. وقد نوى رئيس الكنيسة بكل هذه الاعمال ان يستنهض همّة المؤمنين ليعظّموا ذاك التذكار ويُجلّوهُ محلّ افخم المواسم واجلّها

وهذا ما حدا بنا ايضا الى ان نكتب في هذا اليوبيل العظيم فصلا يثبت لقرائنا الكرام شرف هذا التذكار فيقدّروه حقّ قدره ويشتركوا بالحفلات التي تُقام في اواخر شهر حزيران كما افاد حضرة نائب القاصد الرسولي فيزيدوها رونقاً بحضورهم ويتقرّبوا الى الاسرار المقدّسة ليربحوا الغفران اليوبيلي العظيم ويُشبعوا قلوبهم شكراً لله عن موهبة الايمان التي نالوها من فضله تعالى ويصلّوا على نيّة الحبر الاعظم ويطلبوا

من الله ان ينير الشعوب المتسكعة في ظلام الشرك والضلال فيدخلوا في السفينة البطرسيَّة التي لا خلاص خارجاً عنها

١ النصرانية قبل فوز قسطنطين

لا يُعرَف فضل قسطنطين الكبير على الدين المسيحي الّا بمعرفة احوال النصرانيَّة قبل عهده · كان الرب يسوع في كلامهِ الى رسلهِ سبق وانبأهم بما سينالهم من ضروب المحن في العالم هم واتباعهم من بعدهم حتى انهُ قال لهم (يوحنا ١٦ : ٢) « ستأتي ساعة يظنُّ فيها كل من يقتلكم انهُ يقرّب لله قرباناً »

ولعمري انَّ هذه النبوَّة قد تمَّت بالحرف في كلٍّ من الاضطهادات العشرة التي توالت على انصار دين المسيح مدَّة القرون الثلاثة التابعة لموتهِ وقيامتهِ حيث طُورد النصارى فذاقوا اجناس العذابات والموت فتأثَّرهم اعداؤهم كما يتأثرون ذوابي الوحوش ليستأصلوا شأفتهم ويأمنوا شرورهم على قولهم

ولكنَّ الاضطهاد الاخير الذي سبق عهد قسطنطين بلغ نهاية الفظاعة ففاقت شناعتهُ على ما سلف من حيث طول مدَّته ومن حيث عمومهِ لسائر اقطار العالم الرومانيّ الّا القليل منها · واخيراً من حيث العذابات التي اخترعها ملوك الرومان ليطمسوا آثار النصرانيَّة عن وجه الارض

ان الاحكام التي ابرزها القياصرة في حقّ النصرانيَّة وان أتت بفعالها السيّئ في مدَّة ثلثمائة سنة فتُتل بموجبها ما لا يُحصى عدُّهُ من المؤمنين الّا انَّ ذلك التحامل لم يكن متواصلاً دون انقطاع فكان يشور حيناً ويخمد اخرى على حسب شراسة اخلاق اولئك الملوك او فظاظة عمالهم في الولايات او من جرَّاء فتن بعض المتعنتين المهيّجين للشعب على المسيحيين · وربَّما وقعت فترات كانوا يكفُّون فيها عن التنكيل بالنصارى · بل وُجد بعض الملوك الذين انصفوهم وعاملوهم بالحلم كالسكندر ساويرس (٢٢٢–٢٣٥) الذي اقام في بلاطهِ بين آلهتهِ تمثالاً للمسيح · وكفاليان (٢٦٠–٢٦٨) الذين اطلق بعض الحريَّة لاساقفة الكنيسة واقرَّ بحقوق النصارى بالاستملاك الشرعي · امَّا الاضطهاد العاشر فانهُ ثار ثائرهُ مدَّة عشر سنوات دون انقطاع اعلن به ديوقلطيانوس ولم يزل يشتدُّ مع رصيفهِ غاليريوس وتابعهما عليهِ

مكسيميانوس هرقلس ثم القيصران ساويروس ومكسنطيس بن مكسيميانوس فسالت الدماء سيولاً زاخرة متوالية ظنّوا بسببها انهم قطعوا دابر النصرانيّة حتى ان مكسيميانوس وغاليريوس افتخرا بانهما محوَا اسم المسيحيين لكثرة الذين تناولهم في سبيل دينهم فكفى بذلك دليلاً على طول مدّة هذه المحنة وقساوتها

وكذلك عموم الاضطهاد فانّهُ قبل ديوقلطيانوس كان منحصراً في بعض انحاء الدولة الرومانيّة فتتّقد نيرانهُ تارةً في الشرق وتارةً في الغرب او في بعض الولايات كايطالية في اضطهاد نيرون ودومطيانوس وغاليّة في عهد مرقس اوراليوس ٠ وحيناً كانت الصادرة لطبقة خاصّة من النصارى كاضطهاد مكسيمينوس التراقيّ (٢٣٢ — ٢٣٧) الذي تتبّع الاساقفة خصوصاً ٠ وقلّما شملت تلك الاضطهادات كلّ تخوم الدولة الّا في عهد داقيوس (٢٥٠ — ٢٥١) ٠ امّا الاضطهاد الاخير فانّهُ ضغط على النصارى في كلّ الجهات ضغطاً هائلاً لم يكد ينجو منهُ بلد اللهمّ الّا بلاد غاليّة حيث كان يملك بصفة قيصر قونسطنس كلور ابو قسطنطين الكبير فلم يجد في تبعة دين المسيح ما يستوجب تلك المعاملات الجبريّة لا بل اكرمهم اذ رأى في امانتهم لدينهم ضماناً على صدق خدمتهم لملكهم ٠ وساعد الوثنيين على تعميم تلك الاضطهادات تواطؤ امبراطورَين واربعة قياصرة شرقاً وغرباً على متابعة خطّتهم الجائرة المصمّمة على تدمير النصرانيّة واطفاء جمرتها ٠ فترى التقاليد الحيّة واخبار المؤرخين المعاصرين والسجلّات الدوليّة ومدافن الشهداء كلّها تتّفق على بيان انتشار ذاك الاضطهاد الى اقاصي المعمور ٠ وكان الحكّام اذا حلّوا في مدينة يدعون كلّ نصاراها فيعرضون عليهم الاختيار بين احد امرين امّا جحود ايمانهم وامّا الموت لا مناص منهما ٠ وربَّ مدينة بلغ عدد شهدائها المئين والالوف ٠ وهذه الاحكام لم تختصّ بالرجال بل شملت الصغار والكبار الاغنياء والفقراء ولم تستثنِ النساء والعذارى ٠ فانّ شهداء دين المسيح شرّفوا كلّ اطوار عمر الانسان وكلّ طبقات المجتمع الانساني وكلّ اجناس البشر

وكما امتاز الاضطهاد العاشر بمدى زمانهِ وشمولهِ لانحاء العالم كذلك فاق على الاضطهادات السابقة بشدّة عذاباتهِ ٠ فانّ المتعصبين ليفلّوا شباة عزم المؤمنين اخترعوا

من العذابات ما يقشعرّ لوصفه البدن. فكانوا يتفنّنون في التمثيل بالشهداء ويطيلون عذاباتهم الساعات والأيام ريثما تعجز فيهم كلّ حياتهم فيقضون عليهم بالموت بعد ان اذاقوهم ما هو اشدّ من الموت. حتى صحّ فيهم قول الرسول في رسالته الى العبرانيين (١١ : ٣٣—٤٠) : « انهم بايمانهم قهروا الممالك وعملوا البرّ ونالوا المواعد وسدّوا افواه الاسود واطفأوا حدّة النار ونجوا من حدّ السيف وتقوّوا من ضعف ... وعُذّب آخرون بتوتير الاعضاء والضرب .. وآخرون ذاقوا الهزء والجلد والقيود والسجن . رُجموا ونُشروا وامتُحنوا وقُتلوا بحدّ السيف وساحوا في جلود الغنم والمعز وهم مُعوَزون مضايَقون مجهودون ... وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الارض فهؤلاء كلهم مشهود لهم بالايمان ... »

*

تلك كانت احوال الكنيسة لمّا ظهر قسطنطين الذي كان اصطفاه الله لينقذ المؤمنين من بلاياهم

كان قنسطانس كلور قائداً من قوّاد الرومان المبرّزين فرقّاه ديوقلطيانوس الى رتبة قيصر الذي كان كشّيناني الامبراطور وارسله الى بلاد غالية ليحكم على قبائلها وشعوبها سنة ٢٩٣ . وكان لقنسطانس ابن وحيد يدعى قسطنطين اولدته له امرأته هيلانة المسيحيّة الرهاويّة الاصل فنشأ قسطنطين في حجرها محبًّا للفضيلة مزداناً بالخصال الفريدة التي اهّلته لاشرف المناصب فاحبّ ديوقلطيانوس ان يبقى بقربه في نيقوميدية عاصمة ملكه ليتدرّب على آداب الحرب

فاجاب قسطنطين الى رغبة مليكه وعمرهُ اذ ذاك لا يكاد يتجاوز العشرين فبقي بعيداً عن والده منقطعاً الى خدمة مولاه بكل نشاط نحو عشر سنوات اضحى في اثنائها محبوباً لدى الخاصّ والعامّ ولاسيّما لدى الجنود الذين كانوا يطرئون شهامته واخلاقه الرضيّة

ثمّ اضطرّ ديوقلطيانوس الى مبارحة تدبير الدولة سنة ٣٠٥ وخلفه في منصبه السامي غاليريوس الذي عرف ميل الجنود الى قسطنطين فصرف جهده في نصب الشرك لهذا الامير لئلّا يكون يوماً عثرةً له في استبداده . لكنّ قسطنطين انتهز يوماً الفرصة المناسبة ورغماً عن غاليريوس لحق بابيه في بلاد غالية ونجا من مخالب عدوّه

فطار ابوهُ فرحاً لوصولهِ اليهِ سالماً واخذهُ معهُ لمحاربة البكتيين في بريطانية فعادا ظافرَين سالمين. الّا ان قسطنس ما لبث ان شعر بدنوّ اجلهِ فقدَّم ابنهُ لجندهِ كخلفهِ في الحكم من بعدهِ شاكراً لله على كونهِ احظاهُ بهِ قبلَ وفاتهِ. فلمّا اسلم الروح تألّب الجنود واعلنوا بابنهِ قسطنطين ليس قيصراً فقط بل امبراطوراً واقسموا له الطاعة المؤبدة

فلمّا بلغ الخبر الى غاليريوس كتم الامر في نفسهِ خوفاً من شغب الجند لكنّهُ كتب سرّاً الى صهره مكسنطيس في رومية الذي كان يقاسم اباهُ مكسميانوس في منصب الامبراطوريّة وحضَّهُ على مقاتلة قسطنطين. على انَّ مكسميانوس وابنهُ مكسنطيس كانا يخافان طمع غاليريوس اكثر من قسطنطين فاتّفقا على محاربة القيصر ساويروس الذي كان غاليريوس اقامهُ في ميلانو فغلباهُ وقتلاهُ في راڤنّة واذ سار غاليريوس الى ايطاليا لينتصر لساويروس ويفتتح رومية عاد خائباً الى نيقوميدية وضاعف اضطهادهُ للنصارى

وكان قسطنطين في تلك الاثناء يحارب مع جيشهِ قبائل الجرمانيين والفرنك المتجمعة خلف نهر الرومان فظفر بها مرّتين. ثمَّ علم بانَّ مكسميانوس ومكسنطيس تآمرا على محاربتهِ فسار اوّلاً لمحاربة مكسميانوس فانتصر عليهِ وفرَّق جيشهُ ولم يشإ ان يقتلهُ رفقاً بشيخوختهِ لكن ذاك الشيخ السوء كمن له سرّاً وعزم على قتل ابن قسطنس ولعلّهُ كان نال اربهُ لولا فوستا زوجة قسطنطين وابنة مكسميانوس التي انقذت زوجها من مكائد ابيها فدارت الدوائر على الكائد وسقط في الحفرة التي حفرها لقسطنطين

ثم تواردت الاخبار الى ابن هيلانة بان مكسنطيس جيَّش الجيوش ليناجزهُ القتال فلم ينتظرهُ قسطنطين بل دخل ايطالية ومرَّ بميلانو حيث كان ليقينيوس مالكاً بعد ساويرس فوعدهُ قسطنطين بان يزوّجهُ باختهِ قسطنطية وتعاهدا على الصلح ثمَّ واصل سيرهُ الى رومية وتحفَّز لمنازلة عدوّهِ الذي كان اضحى عبئاً ثقيلاً على اهل دولتهِ يسومهم خسفاً ولا يرعى لهم حقّاً ولاسيّما النصارى منهم فانَّهُ كان اهدر دماءهم واستصفى اموالهم وجعلهم طعمةً لكل طامع

وفي تلك الاثناء اذ كان قسطنطين يقصد عدوَّهُ في رومية حظي بتلك الرؤيا

التي مهّدت الطريق لتنصره . ودونك الخبر كما رواه اوسابيوس القيصري الذي سمعهُ من قسطنطين نفسهِ فاخبره به بعد القسم مثبتاً لصحة روايتهِ قال اوسابيوس في كتاب حياة قسطنطين :

« وهنا لا بُدَّ لي ان اروي روايةً صادقة سمعتُها من فم قسطنطين عينهِ بحيث لا يستطيع احد ان ينكر صحتها . وقد كرَّرها غير مرةٍ على مسامعي لمّا حظيتُ بمنادمتهِ مؤكداً لي صدقها بالقسم قال : وبينا كنّا سائرين في عصر بعض الايام والشمس مائلة نحو الافق لاح لنا في السماء فوق الشمس الشمّة صليبٌ منير . فرأيتهُ رأي العين وأستشهد الله على صدق قولي وكانت كتابة على الصليب تُقرأ جلياً على هذه الصورة (Ἐν τούτῳ νίκα) « بهذا اغلب » اي بهذه العلامة تنتصر . ولا اذكر بالتدقيق المكان الذي كنّا بلغنا اليهِ ولكنَّ الرؤيا كانت عموميةً قد شهدها الجيش بأسرهِ واخذهُ منها العجب » . واردف اوسابيوس قائلاً : " وبقي قسطنطين غائصاً في بحر الافكار في ذلك المساء حتى ادركهُ الليل فنام واذا بالمسيح ابن الله ظهر لهُ في حلمهِ وفي يدهِ العلامة التي رآها في الجوّ وامرهُ بان يرقمها على اعلامهِ فتكون لهُ رهينة النصر

« فلمّا افاق الملك من نومهِ ارسل واحضر الصاغة فوصف لهم العلامة كما عاينها فقاموا بعملهم احسن قيام وقدَّموا لهُ مثالاً منها رصَّعوهُ بالذهب والجواهر الثمينة ثمَّ رقموها على اعلام الجيش وقد رأيتُ هذه العلامة مراراً عديدة على الرايات العسكريّة وهي عبارة عن قناة مستطيلة مصفَّحة بالذهب كان يعترضها في اعلاها عارضة على شكل صليب كان يتحدَّر من طرفهِ نسيج من الارجوان مرصَّع بالجواهر الساطعة النور على صورة عجيبة كانت تأخذ بالابصار . وفي رأس القناة كان اكليل من الذهب والحجارة الكريمة في وسطهِ الحرفان الاوَّلان من اسم المسيح (باليونانيّة) على هذه الصورة ☧ . ومذ ذاك الحين حفر الامبراطور هذا الشعار على خوذتهِ وجرى جيشهُ تحت ظلّ تلك الراية »

هذا ما رواهُ اوسابيوس صديق قسطنطين ومؤرخ حياتهِ . وكان وصول الملك الى رومية في شهر تشرين الاوَّل من السنة ٣١٢ . فما لبث الجيشان ان نزلا ساحة

الوغى وآلهة مكسنطيس تعدهُ بالظفر وكانت جنود مكسنطيس ضعف جيش قسطنطين الّا ان مواعيد السماء قامت لهم مقام المدد

فلمّا كان اليوم الثامن والعشرون من الشهر المذكور التحم القتال بين الفريقين وكان مكسنطيس يتلهّى بحضور الالعاب مع الشعب بينما كان جيشهُ يستقتل لاجلهِ . وكان سمع سَدَنة آلهتهِ يقولون انهُ ان خرج من رومة قُتل فاكتفى بان يرسل الاوامر الى قوّادهِ . لكنّ الشعب اخذ يقرّعهُ على جبنهِ وعدم مروّتهِ فلم يرَ بُدًّا من ان يلحق بعسكرهِ لكنّهُ طلب قبل خروجهِ ان يعرف عاقبة القتال فكان جواب كهنتهِ ملتبساً هذا منطوقهُ : « في هذا النهار يهلك عدوّ الشعب الروماني » فزعم انّ ذاك العدوّ هو قسطنطين وخرج الى جيوشهِ . فكان انضمامهُ الى جنودهِ داعياً لاستنهاض هممهم لكنّ قسطنطين اراهم الصليب وذكّرهم انّ عدوّهم جاء ليلقي بنفسهِ تحت رحمة سيوفهم فكان لكلامهِ احسن وقع في قلوبهم فهجموا هجوم الاسود على مكسنطيس وانصارهِ فالجأوهم الى تولية الأدبار فتأثر جيشُ قسطنطين اعقابهم حتى بلغوا الى الجسر الممتدّ فوق نهر تيبر وهو جسر ميلفيوس وكان قليل الاتّساع فازدحم الهاربون وسقطوا في النهر فغرقوا وكان من جملتهم مكسنطيس فعرفوهُ وقطعوا رأسهُ وركزوهُ على رمح طويل . فاسرع رؤساء المدينة وفتحوا ابوابهم للملك الظافر فاستقبلوهُ استقبال المنقذ والمخلّص وخمدت نار الحرب من ساعتها وشكروا الله على موت الطاغية . وبعد قليل اوفدت المدن وفودها لتعلن بخضوعها لقسطنطين . وراحت التهاني من البلاد البعيدة تشيد بمدحهِ وتعدّد مظالم مكسنطيس وعلى الاخصّ اهل افريقية الذين طلبوا ان يُرسَل اليهم رأس القتيل ليطمئنوا خاطر الشعب الذي كان خائفاً من جورهِ على افتراض كذب الخبر

٢ حكم قسطنطين بتحرير الكنيسة

على ان هذه الافراح التي شملت العالم الروماني كان فعلها اوقع في قلوب النصارى اذ علموا كيف نال قسطنطين نعمة الظفر فنشطت هممهم واستبشروا خيرًا وخرجوا بلا خوف من مخابئهم . وطيّب الملك خاطرهم اذ أعلن انهُ لا يريد لشعبهِ غير السلام كي يعيش الكل في بحبوحة الامن والوئام

وانّما هذه المواعيد قد قرّرها الملك رسمياً بعد اشهر مع حليفهِ ليقيليوس. فلما اعاد لرومية سكينتها ورتّب عمّالها وتلافى اضرارها السيّئة بسرعة. تصرَّف مكسنطيس رحل الى ميلانو ليحتفل بقران اخته وليقيليوس . وكان اوَّل ما فكَّر فيهِ قسطنطين ان يضع منشورًا عموميًّا يمنح فيهِ الحريّة الدينيّة لكل رعاياهُ فاصدر ذلك الحكم الذي هو كسجلّ تحرير كنيسة الله ودونك اخصّ نصوصه الخطيرة قال :

« من المعلوم انّ الحريّة الدينيّة لا يجوز المضايقة عليها فلكل انسان حرٌّ في متابعة الدين الذي يؤثرهُ . وقد صرَّحنا سابقاً بان النصارى يجوز لهم ان يتمّموا فرائض دينهم دون عائق. ولكي لا يبقى من هذا القبيل ادنى شبهة في مرامنا قد اتّفقنا نحن قسطنطين وليقيليوس المجتمعين في ميلانو على وضع قوانين ثابتة في ما يَنوط بعبادة اللاهوت فنمنح النصارى وسواهم اجمعين الحريّة في اعتقاد الدين الذي يفضّلونهُ لكي نستمدّ بذلك حماية اله السماء علينا وعلى كل مملكتنا. فنعلن اذن جهارًا بان هذه هي ارادتنا المقرَّرة بمنشورنا الحالي ان كل من يرغب التديُّن بالدين النصراني لا يجوز لاحد ان يعارضهُ في قصدهِ بل تُترك له الحرية التامة في ذلك . . . لانهُ يحقّ بعزّ مملكتنا وراحة دولتنا ان كلًّا من ابناء رعايانا يتمتّع بالحريّة الدينيّة فلا توضع عقبات في سبيل خدمة اللاهوت

« وعلاوةً على ذلك ورعايةً لحقوق النصارى نقرّر بان الامكنة التي كانوا سابقاً يجتمعون فيها لصلاتهم وتوهموها منهم تُردّ لهم حالًا دون تعويض امّا اذا كان احد قد اشتراها بماله فليُدفع له ذلك المال من خزينة الدولة على حسب حكم المثمنين. وكذلك الاملاك التي اغتصبوها من افراد النصارى نقضي بردّها لاصحابها بعد اداء ثمنها من بيت المال تعويضاً لمن اقتناها لئلا تُبخس حقوق احد وينال اهل رعيتنا الامان والراحة

« وعلى هذا المنوال نثبت فعلًا ونقرّر اداء شكرنا نحو الاله الذي مدّ علينا مرارًا ظلّ حمايتهِ. ونريد انّ هذه البراءة المثبتة بمجلسنا السامي وجودنا الملكي يُعلن بها في كلّ مكان ليطّلع عليها الخاص والعام »

هذه اخصّ الاحكام التي اودعها قسطنطين الكبير منشور ميلانو الموقع باسمهِ

وباسم ليقينيوس حليفه. وأُرسلت الوف من نسخها الى كل عمالها في كافة اقطار المعمور . امّا الاصل فوُضع في جملة سجلات الدولة

لكنّ زمام المملكة الرومانيّة لم تكن باسرها في ايدي قسطنطين وليقينيوس فانّ قسماً من الدولة كان خاضعاً لصاحب نيقوميدية. وقد سبق ان غاليريوس كان يتولاها لكنّ هذا الملك كان قد أُصيب سنةً قبل انتصار قسطنطين بداء عضال كانطيوخوس مضطهد بني اسرائيل فكان الدود يرعى احشاءه فينبعث منها رائحة كريهة افسدت كل بلاطه فذاق الامرّين واقرّ بان الله كان ينتقم منهُ وفاء من دماء اوليائه الذين ظلمهم لدينهم. فتلافياً لجوره كتب قراراً منحهم فيهِ بعض حقوقهم لكنّ الموت عاجلهُ فبقي قرارهُ دون مفعول. وقام في الامر من بعده مكسيمينوس دايا ابن اخيه فجرى في محاربة النصارى على مثال غاليريوس . وقتل منهم قوماً

ولمّا بلغهُ ان قسطنطين وليقينيوس اجتمعا في ميلانو انتهز الفرصة فسار الى البلاد الخاضعة لحكم ليقينيوس ليستولي عليها . لكنّ ليقينيوس اسرع وعاد الى مملكته وجمع عساكره فادرك مكسيمينوس دايا قريباً من ادرنة وناجزهُ القتال فكسره وقطع نظام جيوشهِ حتى فتك فيهم واجتاحهم امّا مكسيمينوس فهرب الى باب الابواب الى ان بلغ طرسوس فهناك أيس من الظفر فطاب طعاماً واكل اكلاً ذريعاً حتى اكتظّ من الطعام ثمّ شرب السمّ فمات بعد آلام مبرّحة قاسى مضضها مدة اربعة ايام فكان موتهُ كموت المضطهدين للنصرانيّة من قبلهِ

٣ لواحق حكم قسطنطين

ان تلك المأثرة المثلية التي ذكرناها لقسطنطين في تحريره كنيسة المسيح لم تكن سوى فاتحة اعمال أُخرى عديدة قام بها ذلك الملك الكبير لخير الدين ولاصلاح المجتمع الانسانيّ الذي كانت الوثنيّة هبطت به الى اقصى دركات الذلّ. وها نحن نعدّد بعض تلك الاعمال الشريفة التي تولّاها ليرى قرّاؤنا كم اضحى عالم العمران مديوناً لقسطنطين وكيف فتح للمدنيّة باباً طرقهُ من بعده كل محبّي صلاح الشعوب وخير البشريّة وانّما الفضل في ذلك للدين الذي اعتنقهُ وجاهر بحقوقه رسمياً في

منشور ميلانو بحيث يجوز لكلّ مؤمن ان يردّد آية يوحنا في رسالته الاولى (٥ : ٤) : « انّ الغلبة التي غُلب بها العالم انّما هي ايمانُنا »

لمّا تربّع قسطنطين في دست الامبراطورية وجد العالم الرومانيّ مقيّداً بقيود الوثنيّة التي لم يحلّها غير النصارى مفضّلين المنايا على الدنايا · فان دستور الشرائع الرومانيّة كان قلب كل نظام المجتمع الانساني فسحق الضعيف وألّه الملوك وجعل للفحشاء مذابح وللآثام البشرية هياكل فعرف قسطنطين انّ الله الذي نصرهُ على اعدائه قد انتدبهُ لتلافي هذه الشرور فيعيد للخالق وللمخلوق رتبتها في الهيئة الاجتماعيّة

امّا الخالق فطأطأ له قسطنطين رأسهُ يوم رفع فوق جيشه لواء صليبه فاعترف بالاله الوحيد الذي له وحدهُ المجد والعزّ والجلال الى ابد الدهور · وعاد بعد ذلك وجاهر بذلك الايمان غير مرّة كما فعل يوم اصطبغ بمياه المعموديّة · ويوم جلس في نيقية مع آباء المجمع فعدّ نفسهُ بينهم كاحد المؤمنين · وكلّ مرّة كان يغني الكنيسة الكاثوليكيّة بهباته الملوكيّة او شيّد بيعها · فانّ قسطنطين أقام في رومية واورشليم والقسطنطينيّة وفي امكنة اخرى عديدة بيعاً جديدة بان تُنظم بين اجلّ الابنية الدينيّة واشرف الاعمال الهندسيّة · وقد عدّدها اوسابيوس القيصري في سيرة قسطنطين وكأنّها تنطق بايمانه الحيّ واجلاله لكنيسة المسيح

واليه يعود الفضل في تطهير الاماكن المقدّسة واستخراج صليب السيد المسيح وذخائر آلامه من دفائنها بواسطة والدته القديسة هيلانة فاقام لذكرها الباسليقات الموسومة باسمه

ومن دلائل اكرام قسطنطين للدين انه لم يشأ السكنى في رومية عاصمة المملكة الرومانيّة لئلّا يزاحم الحبرَ الاعظم في سلطته الدينيّة وعليه جعل له نائباً في رومية لتدبير احوالها المدنيّة وانتقل الى القسطنطينيّة حيث اتّخذ له حاضرةً جديدة · نعم انّهُ ليس لدينا صكٌّ يعلن بدفع قسطنطين حكم مدينة رومية الى الاحبار الرومانيين وانّما هو امرٌ مقرّر انّ الاباطرة مذ ذاك الحين لم يعودوا يسكنون في رومية ليتصرّف الحبر الرومانيّ بتدبير العالم الكاثوليكي كما يشاء · ولمّا توالت على ايطالية بعد مئة سنة غزوات البرابرة المنحدرين من اقطار الشمال لم تجد الشعوب ملجأً وملاذاً

الّا لدى الباباوات وكلٌّ يعلم انّ القديس لاون الكبير خلّص رومية من ايدي اتيلا وجنسريك وانّ كلّ المظلومين والملهوفين من انحاء المعمور كالقديس اثناسيوس والقديس يوحنّا فم الذهب لم يعرفوا غير الكرسيّ الرومانيّ كنصفهم في بلاياهم · قال القديس غريغوريوس الكبير في رسالته الى يوحنّا بطريرك القسطنطينيّة : « اذا بلغ احدٌ المقام الذي انا فيهِ تراكمت عليهِ الاشغال بحيث لا يعلم اهو حبرٌ للكنيسة او هو امير زمنيّ » . وقال غريغوريوس الثاني في رسالتهِ الى الملك لاون : « انّ الغرب كلّهُ يوجّه بنظرهِ الى ضعتنا فيعتبر شخصنا كمؤيد السلام العام والحَكَم في كلّ الامور ولو شئت جلالك ان تختبر صحّة قولنا لأمكنّا اذا ما ظلمتَ رعاياك الشرقيين ان تدفع بقوّاتهِ لمارضتك انتصاراً للمظلومين »

فترى ان قسطنطين هو الذي سبق واشار الى رفعة الكرسيّ الرومانيّ اذ تخلّى عن رومية لاحبار الكنيسة · وبذلك اكرم شخص السيد المسيح في نائبهِ على الارض وعلّم الملوك خلفاءهُ من بعدهِ انهُ ينبغي عليهم أنْ يعطوا ما لله لله اذا ما ارادوا ان يؤدي رعاياهم ما لقيصر لقيصر لانّ صيانة حقوق الله اضمن وسيلة لحفظ حقوق ملوك الارض

وكما ردّ قسطنطين للخالق ولدينهِ مقامهما في نظام الكون كذلك سعى في حفظ حقوق الخلوق باصلاح الشرائع الرومانيّة المجحفة بها ثم توطيدها على دعائم النصرانيّة

واوّل ما استنفد فيهِ كنانة جهدهِ الذود عن حمى الضعفاء · وفي مقدّمتهم الاطفال الصغار · فانّ في جملة شرائع الرومان السيئة كانت سنّة تقضي على الاب بقتل مولودهِ الصغير اذا ما رأى نفسهُ قاصراً عن اعالته · فألغى قسطنطين هذه السنّة منذ اوائل عهد ملكه فنشر حكماً امر فيه تحت طائلة العقاب الشديد بان الصغار اذا عجز اهلهم عن اعالتهم يُعالون على نفقة الدولة وقد رقم ذلك الحكم على صفيحة من النحاس كاقدس الشرائع وأوجبها · وكذلك تقدّم بان يُجمع اللقطاء وتُعنى الظئور بامرهم

ومن آفات الشرائع الرومانية اهتضامها لحقوق العبيد · وكانت العبوديّة كادت

تعمُّ العالم القديم حتى ان المؤرخ الشهير تاقيتس نفسهُ رأى في هذا الامر غرابة فقال: « انَّ الجنس البشري يكاد لا يعيش الَّا لنفعة قليلين » ‎(Paucis vivitur humanum genus)‎ فكان للروماني الحرّ مئون بل الوف من العبيد كانهم طوع بنانهِ لا يجسر احدهم ان ينبس ببنت شفة الَّا جُلد وقُتل باصناف العذابات دون ان يطالبهُ احد بدمهِ وكانت الحروب تنتهي باستعباد المغلوبين فيباعون بَيْع السلع واذا اقتنى احد عبدًا وسمهُ بميسم من الحديد المحمى على جبهتهِ كاذلّ الحيوانات. وان شاء سيّد العبد تلهّى بعبدهِ كيفما شاء. وألقاهُ في بركته للحيتان. وكان العبد منظمًا في سلك الاشياء المادية كانهُ ليس ابن بشر. قال الحكيم الروماني فارون: « انَّ ادوات الفلاحة تُعَدُّ ثلاثًا: البقرة والعبد والمحراث وليس بينها فرق الَّا ان البقرة تخور والعبد ينطق والمحراث لا لسان لهُ ». وقال كاتون المعروف بالمنتقد ‎(Caton le Censeur)‎: « على صاحب المُلك ان ينبذ عنهُ الادوات التي لم يَعُد بامكانهِ استعمالها كالحاريث العتيقة والخيل العاجزة والعبيد المسنّين ». وقد بلغ استحقارهم للعبيد الى ان وضعوا هذا المبدأ الغريب: « لا حقّ للعبد » ‎(servus nullum jus habet)‎. ومن ثم كنت ترى عددًا عديدًا من اولئك البائسين ينتحرون امّا غرقًا وامّا شنقًا لينجوا من حياة امرّ من الموت. وكان الوف منهم يُقضى عليهم بمحاربة الحيوانات الضارية في الساحات العموميَّة او بالمبالدة بالسيوف بين بعضهم ربّما يُقتلون فيُبهج وتُبهم المائيين لتلك المشاهد الفظيعة. واذ رأى الملك كاليغولا انَّ اعالة الوحوش المجموعة للالعاب العموميَّة تكلّف الدولة نفقات طائلة امر بان يلقوا عبيدًا احياء اطعامهم!!

فلمّا ضبط قسطنطين عنان الملك سنَّ شريعة أولى (سنة ٣١٤) حظر فيها استعباد الرجال الاحرار وردَّ فيها الحريّة لمن ثبتت للقضاة حالتهم الحرَّة قبل الحروب الاخيرة. ثم اردفها بسنَّة ثانية سنة ٣١٥ نهى فيها عن وسم العبيد في جباههم بالحديد المحمى لانَّ وجه الانسان يمثّل صورة الخالق. وفيها ألغى عذاب الصَّلب الذي كان يُحكم بهِ على العبيد مع كسر سوقهم وذلك لاكرام صليب السيد المسيح الذي فدى البشر بموتهِ عليه

وفي السنة التالية سوَّل لاصحاب العبيد اطلاق الحريَّة لعبيدهم وكانت الشريعة

الرومانيَّة لا تسمح بالامر الّا على شروط باهظة خوفاً من فتنة العبيد امَّا قسطنطين فانَّهُ اقتصر على الاعلان بحرِّيتهم امام الاسقف والحضور من المؤمنين على حياة عبيدهم وفي السنة ٣١٩ اصدر حكماً آخر نوع بوجيه عن اصحاب الرقيق السلطة على قتلهم الّا بالمحاكمة وذلك تحت طائلة قتل القاتل الظالم . وختم هذه السُنن الحكيمة بسُنَّة خامسة ألغى فيها المجالدة بين العبيد وغيرهم بالسيوف والمبارزات في الساحات العموميَّة تفكيهاً للشعب سنة ٣٢٣

ومن شرائع قسطنطين المشبَّعة حكمةً والمفعمة بالروح المسيحيّ ابطالهُ للسُنَّة القاضية بالزواج على الجميع دون اختلاف وذلك صيانةً لشرف البتوليَّة في الكنيسة وتنويهاً بمقام المعيشة الرهبانيَّة وكان ذلك في السنة ٣٢٠ . وفيها ايضاً اصدر حكماً في معاقبة الخاطفين للبنات وابطل زواجهم ما دامت الفتاة في حوزة مغتصبها . وفي السنة ٣٣٠ ألغى شريعة الطلاق عملاً بتعليم الانجيل الطاهر وحفظاً لكرامة الزواج المسيحي

فهذه السُنن قد وقَّعها قسطنطين بامضائهِ وكلُّها قد نهجت للعالم سبيلاً جديداً فنفى بالتدريج ما كان يُشتمّ منهُ رائحة الشرك والأخلاق الهمجيَّة

على انَّ قسطنطين في شرائعه التي سنَّها في العشر السنين الاولى من ملكهِ كان يتحذَّر من الماخذة حليفهِ ليقينيوس المالك في بلاد الشرق والمجاهر بالدين الوثني فكان في سنِّهِ يقتصر على الاحكام الادبيَّة الموافقة لتعليم المسيحيين دون ان يصرِّح بذكرها بخلاف الاحكام التي ابرزها بعد ذلك العهد من السنة ٣٢٣ الى وفاته سنة ٣٣٧ فانها تثبت رسوخهُ في الدين كالحكم الذي اعلن به سنة ٣٢٣ وفيهِ منع من ان يُجبَرَ النصارى على مشاركة الوثنيين في بعض حفلات رسميَّة يجرح فيها الدين . وكذلك حتم بقبول الاقضية التي يقضي بها الاساقفة في الامور المدنيَّة

وكذلك نقود قسطنطين والقابهُ عليها فانَّهُ بعد انتصاره على مكسنطيس تسامحَ بضرب نقودهِ على مثال نقود الملوك اسلافهِ لئلا يظنّ احد انَّهُ دونهم سلطة واقتداراً فترى على بعض مسكوكاتهِ الرموز والشارات الوثنيَّة الشائعة من قبلهِ وهو يُدعى في بعضها مثلهم حبرًا اعظم (Pontifex Maximus) امَّا بعد تفرُّدهِ في السلطان فنقودهُ خالية من تلك الرموز وبينها ما فيه اشارة الى الدين المسيحي.

وكفى بذلك دليلًا على أنهُ لم يعد يحذر الاعلان الرسمي بدينهِ على رؤوس الملا

فالفضل اذن كلّ الفضل لقسطنطين الذي على يدهِ دخل العالم الروماني في طور جديد وبواسطتهِ اندحرت الوثنيَّة التي كان المعلم ترتوليانوس في كتاب دفاعهِ عن النصرانيَّة قابلها بالتنين المتعدد الرؤوس وصارت المملكة الرومانيَّة التي دعاها بالمسيح الدجَّال مملكةً نصرانيَّة يدبّرها امبراطور مذعن لتعاليم المسيح · ونُصب لهُ في ساحة رومية قوس ظفر اضحى رمزًا لانتصارهِ على دين الاصنام كما انَّ قوس طيطوس الذي بقربهِ هو رمز على انتصارهِ على مملكة اليهود· ومذ ذاك الحين صحَّ قول الآباء في المسيح انَّهُ هو المنتصر هو المالك هو صاحب التدبير والسلطان (Christus vincit, Christus regnat. Christus imperat) فتمَّت نبوَّة دانيال (ف ٢) عن ذاك التمثال العجيب الذي كان ساقاهُ من حديد المرموز به الى الدولة الرومانيَّة فضربهُ الحجر الصغير المشار بهِ الى السيّد المسيح الظافر وسحق التمثال فصار الحجر جبلًا كبيرًا وملأ الارض كلها (دانيال ٢ : ٣٥)

فما احرى الكنيسة في هذا العام ان تشيد بذكر قسطنطين وتبارك اسمهُ لانَّهُ اجلسها على منصَّة الملك الذي لن يسلبهُ من يدها مغتصب وان كانت الكنيسة الرومانيَّة لم تنظم قسطنطين كما فعلت الكنيسة الشرقيَّة في سلك القديسين لبعض شوائب وجدتها في حياتهِ فانها قد توّجت هامتهُ باكليل من المجد ومثّلتهُ في كنيسة القديس بطرس بصورة جنديّ المسيح والدافع عن حقوقهِ كما انها اثبتتهُ بلقب لم ينلهُ الَّا القليل من البشر فدعتهُ بقسطنطين الكبير

موشّح في القلب الاقدس

اثر مفقود للسيّد جرمانوس فرحات

توطئة

لمَّا اخذت عبادة قلب يسوع الاقدس تنتشر في الغرب في القرن السابع عشر جعل المرسلون ولا سيَّما اليسوعيين يسعون في نشرها ايضاً بين الشرقيين . فنقل الاب بطرس فروماج سيرة الطوباوية مرغريتا مريم ألاكوك التي وكلَّ اليها الربُّ نشر هذه العبادة التقويَّة ثمَّ وضع كتاباً بيَّن فيه خواصَّ التعبُّد للقلب الالهيّ واثبت صوابهُ عقلاً ونقلاً . فأنشئت الاخويَّات لاكرام قلب يسوع وشُيّدت المعابد واقيمت الرياضات التقويَّة . ومن جملة الذين شاركوا المرسلين في تعزيز تلك العبادة السيّد الجليل والعديد الأثر المطران جرمانوس فرحات رئيس اساقفة حلب على الموارنة . ولهُ في ديوانهِ قصيدة رنَّانة تغزَّل فيها بجمال قلب مخلّص البشر وعرَّض بذكر الاخويَّة المنشأة لاكرامهِ في حلب (ص ٣٠ من ديوانهِ) بدؤها :

يا قلبُ طِرْ من وُكْنَة الاحشاء   نحوَ الحبيب الفاتر الأزياء

وقد وقفنا لهُ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة على اثر آخر مفقود في محبَّة قلب يسوع الاقدس التامّ وهو موشَّح لطيف اودعهُ كثيراً من المعاني الحبيَّة والرموز المشارة من الاسفار المقدَّسة فاحببنا نشرهُ بمناسبة عيد قلب يسوع الواقع في يوم الجمعة بعد الاسبوع المخصَّص بعيد القربان الاقدس وهو كما ترى:

ل . ش

حبُّ قلب أيسوعَ أقصى بُغيتي   لستُ فيهِ استريبْ
وشفائي في هواهُ جنَّتي   وبهِ عيشي يطيبْ
فيهِ آلامي أراها لذَّتي   وهنا القلب الكئيبْ
في دوامي غاَيتي او غايتي   هو لي المنى طبيبْ

*

قلبهُ المطعون من ذاك السنانْ   صار باباً للخلاصْ
فادخلوهُ بسلامٍ وامانْ   وأتوهُ باختصاصْ
تجدوا المنجى بذيالك الجنانْ   من فخاخ الاقتناصْ
ثمَّ ترعوا خير مرعى في الجنانْ   في رعي الوادي الخصيبْ

يا عذارى اطرحنَ عنكنَّ الوسَنْ · كي تلاقين العروسْ
مستعدَّاتٍ لاقبال الختَنْ · بمصابيح النفوسْ
قبل ان تُغلَق جنَّاتُ عدَنْ · ويجازى بالبؤوسْ
كلٌّ وانْ لم يكن طول الزمنْ · حاملاً نير الصليبْ

*

حملَ الاوزارَ عنَّا ذا الحمَلْ · حملَ الله الذبيحْ
برُّنا اكلَهُ لمَّا اكتمَلْ · وهو ذو قلبٍ جريحْ
فازَ بالخيرات طرًّا مَنْ دَخَلْ · ضمنَ احشاء المسيحْ
وحظي بالفوز بل نال الأملْ · من غدا فيهِ سليبْ

*

حربةٌ قد ولجَتْ في جنبهِ · ليتني قد كنتُها
حيثُ لا مَفصَلَ لي من قلبهِ · في حياةٍ عشتُها
قد حباني نعمةً في صلبهِ · لم اكُ استحققتُها
يا فؤادي فاتّقِدْ في حبهِ · وأذُبْ في هذا اللهيبْ

*

[هتاف العروس الشريفة]

قلبُ محبوبي سريرٌ زاهرٌ · احسنُ الزهر العطورْ
فاذا أغفلَ فقلبي ساهرٌ · حائزًا اسنى السرورْ
انني بالحبِّ صبٌّ حائرٌ · فاكنفوني بالزهورْ
كيف لا والحِلُّ عندي حاضرٌ · في فؤادي لا يغيبْ

*

تحت رأسي يبسطُ اليد الشمالْ · وأحاطت بي اليمينْ
أيلٌ يرتعُ في روض الجبالْ · بالألوف الاطهرينْ
حولهُ الابكارُ غاداتُ الجمالْ · تتبعُ الصدق الامينْ
حيثما سار بانوار الجلالْ · ما لها منهُ مغيبْ

*

منبرُ اللاهوت كرسيُّ التقا روحُ ارواح الوجودْ
هيكل الله الصفيُّ المتَّقى فلهُ اسمى السجودْ
مذبحٌ فيهِ البخورُ المنتقى عرفهُ الزاكي الوَقُودْ
فاعبدوا ذا القلب يا اهل التقى من اديبٍ ولبيبْ

[دعوة الحبيب] *

يا عبادي أكرموا قلبي البهي واشهروني في العبادْ
انا خمر الروح والسكر الشهيّ ولِيَ العزُّ المرادْ
انا اغنى مشتهى للمشتهي وعليَّ الاعتمادْ
ولواذُ المبتدي والمنتهي في نصيب ومصيبْ

*

انَّ قلبي يا عروساً لم يَزَلْ مستعداً للقا
فاستقرّي فيهِ تحظي بالأملْ وتفوزي بالبقا
كلُّ قلبٍ لم يلجهُ يحتملْ ويلازمهُ الشقا
ثمَّ من صفّ العذارى يعتزلْ والرجا منهُ يخيبْ

*

اسمعي يا ابنةُ واصغي وانظري وباذنيك انعمي
وتناسَي شعبكِ ثم اهجري انسباكِ واتبعي
يعشقُ مَلكُ لبهاكِ فانذري عفَّةً لهُ ابتغي
أسرعي يا خلّتي ثمَّ احضري وادخلي قلبي الرحيبْ

*

انا خدركِ قلبي المتجرحْ فاختفي في حجلتي
واسكني ضمن جنبي المفتحْ واغتذي من مهجتي
اعبدي قلبي الجريح المتمسحْ وادخلي أخويتي
واصحبي الابكار في الخدر الفرحْ والبسي ثوبي القشيبْ

*

قد غسلتِ قدميكِ فاتقي بعدُ ان تدنّسي

وخلعت ثوبك البالي الشقي فلهُ لا تلبسي
ثوبيَ الرسومُ مني اعتنقي ثم اياه اكتسي
وتردي بردا الطُهر النقي في الصبا ثمَّ الشيب

[جواب النفس]

*

انتَ تُقبُ الصخرة المرموز في ما رأى موسى الكليم
كَنفُ السودِ بهِ من يختفي فاز بالأمن العظيم
ملجأُ العاني وغوثُ المتفي وشفا القلب السقيم
ان يغبْ عن لحظي فبريبتي في اذ هو النائي القريب

*

مشتهى الأكام مأثور الذرى غاية الحسن البديع
جبلُ الابكار مَنْ فيهِ ثوى ظلَّ في حصنٍ منيع
هام قلبي فيهِ من دون السوى وبهِ عفتُ الجميع
لذَّ لي فيهِ التصابي والهوى واذكى الحبُّ المذيب

*

يا جمالَ الكون من ذا لا يُرى في بهاك مغرما
حبُّك الواقي بأرواحي سرى مازجاً كلَّ الدما
لستُ اسلو او يواريني الثرى بل ولو متُّ فما
ماتَ مَنْ حسنهُ ابهى الورى اذ هو الحسنُ العجيب

*

غنيتي الفضلى الحادي بيسوعْ منيتي يخشفُ الوشا
لم يزل قلبي بعشقٍ وولوعْ منذ يومٍ قد نشا
ليس لي من حب من اهوى رجوعْ وسواهُ لا اشا
لا ولا لي موصلٌ الّا الخضوعْ تحت اقدام الحبيبْ

[دعاة الحبيب]

*

فوق قلبكِ اجعليني مختما كشذا مسكِ الختامْ
وانصبي فيكِ لحبي سُلّما ترتقي أعلى مقامْ

وامنحيني القلبَ دوماً مثلما حزتِ قلبي بالتمامْ
بها رُمتِ فتالي مغنا انني الداعي المجيبْ

الظواهر الطبيعيّة والكهرباء

للدكتور يوسف افندي شرابيه احد اعضاء جمعيّة المالجة بالكهرباء في باريس

تهولنا عظمة كُرتنا الارضيّة وتدهشنا ضخامتها وكبر حجمها. لكننا اذا نظرنا اليها بنظر الفكر الصائب واعتبرناها على حسب ما يوحي به الينا علم الافلاك وتثبتهُ معرفة الاجرام العلويّة تحقّقنا انها بالنسبة الى تلك الكائنات كذرّة لا يكاد يُشعَر بوجودها تتنقّل في فضاء اللانهاية. فهي ابنة الشمس تلوذ بها وتدور حولها مستمدّةً منها النور والحرارة الضروريّة لحفظ الحياة ونموّها على سطحها. تعوم في فضاء الجلد مرتكزةً على قطبَيها لا يسندها ركنٌ وانّما تحفظها قوّة الجاذبيّة العامّة فتتمّ مسيرها في فلكها بدقّة وضبط عجيبين . ومع ما فيها من النقص والخلل قد شاءت العناية الالهيّة ان تختارها لسكنى البشر لجعلتها مهداً للانسانيّة وموطناً للجنس البشري

غنيّ عن القول انّ حياة الانسان جهاد على الارض فهي معرّضة لآفات عديدة تتهدّدها واسقام متنوّعة تنقض اركانها. ذلك فضلاً عن العوامل الطبيعيّة التي تفتك بها وتلاشيها. فتارةً تنفجر البراكين فتهلك وتبيد. وتارةً تتزلزل الارض فتسوخ بمن فوق سطحها. تطغى البحارُ فتُغرق وتكسر الانواء اغلالها فتدمّر. تنهمر السيول فتجرف وتنفخ الرياح فتكتسح. تقصف الصواعق فتحطّم وتحمى الشمس فتحرق. فإنّ هذه الظاهر كلّها الّا مفاعيل القوى الطبيعيّة المنتشرة على كرتنا الارضيّة. ويا ليتها بقيت ضمن حدودها ولم تتجاوز طورها لكانت نعمةً بل شرطاً ضرورياً للحياة. فابن آدم يبقى واجماً مكبّل الايدي ازاء هذه الخوارق الطبيعيّة يرى نفسهُ عاجزاً عن تسيير سيرها قاصراً عن استدراكها فما له الّا ان يطأطئ رأسهُ مرغوماً على احتمال نواميس الوجدان معترفاً بقصوره امام هذه القوى العمياء والعناصر الثائرة ومن العجب العجاب انّ الانسان مع ضعفهِ امكنهُ ان يعيش في الارض وينمو

على سطحها مع ما يتهدّده من العوامل الطبيعيّة ويكتنفهُ من الاخطار. لا بل استطاع ان يقوى على تلك القوى المعاكسة ويذلّلها لخدمتهِ فكم تراهُ يتوسّل بها لمناعتهِ ورغد عيشتهِ وتوفير راحتهِ فهو هو الذي أسر الرياح واستخدم حرارة الشمس وحبس مجاري المياه لتجري طوع امرهِ وقهر البحار وقرّب المسافات وافتتح مملكة الجوّ وولج في مضايق الارض وحوّل الى نفعهِ كل هذه الكائنات القائمة في وجهه

والحقّ يقال ان هذه القوى رغماً عن ظواهرها المتنوّعة ليست الّا نتيجة قوّة وحيدة اودعها الخالق في المادّة اينما وُجدت فاذا ما ثارت وحلّت قيودها تفاقم شرّها فلا تُبقي ولا تذر وان اعتدلت ولزمت الخطّة المثلى اتت بالمنافع الجمّة والخيرات العميمة

*

فلسائل ان يسأل وما هي يا تُرى تلك القوّة العامّة وكيف تظهر لحواسّنا ! قد عرّفها علماء الطبيعيّة بقولهم أنها مجموعة قوى كامنة في المادّة تصدر عنها بصورة اهتزازات مختلفة العدد متباينة الطول وهي تلوح لحواسّنا في ظواهر الحرارة او النور او الحركة او الكهرباء او تحت اشكالٍ اخر لم تدركها مشاعرنا لانّ حواسّ الانسان محدودة كما انّ ادوات العلم مع رقيّها لا تزال ناقصة . فهذه القوّة العامّة الوحيدة المصدر المتكيّفة بكيفيّات شتّى انّما هي اهتزازات مستديمة تحدث في دقائق المادّة. والحركة هي المبدأ الوحيد الذي منهُ تنال تلك المظاهر صُورها النوعيّة. فالحركة موجودة في ادقّ ذرّات المادّة كما نشاهدها في الاجرام العلويّة كالكواكب والنجوم والسيّارات المنتشرة في فضاء الاثير الى حدود اللانهاية. وكلّ ظاهرة معلومةً كانت او مجهولة تنشأ عن الحركة التي في المادّة. وانّما الفرق في تلك الظواهر التي تؤثّر في جهازنا العصبيّ يحصل باختلاف طول اهتزازاتها وسرعتها

ومن ثمّ ينبغي القول بوجود نوعٍ من الاهتزازات ذات سرعة وطول معلومين من شأنها التأثير في اعصاب العين فتولّد في بصرنا حاسّة النور والالوان كما يوجد نوع آخر منها يختلف طولاً وسرعة يؤثّر في شاعرة سمعنا فيولّد في آذاننا حاسّة الاصوات. ونوع ثالث يُشعرنا بالحرارة او الكهرباء وهلمّ جرّاً

على انّ شواعرنا القابلة التأثير كما سبق القول هي محدودة وذاك التأثير لا يحدث فيها الّا على اقيسة معلومة من سلّم الاهتزازات. وكم من حركة تحدث حولنا ونحن بها

جاهلون لعدم وجود حاسّة فينا تنبئنا عنها فانّ في الفضاء الوفاً بل الوفَ ألوفٍ من الحركات تملأهُ دون ان نقوى على الشعور بها. والدليل عليه الصفيحة الفوتغرافية التي تدوّن الاهتزازات التي ما وراء اللون البنفسجيّ في الطيف الشمسيّ . وكذلك مقياس الحرارة الذي يُشعر بالاهتزازات التي هي دون اللون الاحمر. فترى من ثمّ انّ حياتنا تخوض في مجاهل لا يستطيع عقلنا ان يقف على اسرارها بل هي كالكنز لا يمكنا حلّهُ اذ تحدق بنا الحوادث الطبيعيّة وتلامسنا الحركة وليس لنا مشاعر حقيقة بتعريف كيانها. وما حواسّنا الطبيعيّة الّا ادوات نهاية في الضعف بالنسبة الى ما نحتاجهُ منها لادراك كل طور من اطوار الحركة . وخلاصة القول انّ الحركة هي ركن الحياة وتموّجاتها تنشئ جميع الاجرام المخلوقة وليس بينها اختلاف الّا بطولها وسرعة انتشارها

وقد اراد العالم الطبيعي كروكس (Crookes) الانكليزي ان يقف على عدد تلك الاهتزازات فاصطنع جدولًا بناءً على اختبارات واصول عليّة اثبت فيه ما امكنهُ من تعداد تلك الاهتزازات في الثانية . فاتخذ رقّاصاً وهميّاً يتمايل ذات اليمين وذات الشمال واجرى حركتهُ بقوّة معلومة بحيث تتضاعف الاهتزازات تضاعفاً هندسيّاً من الاثنين الى الاربعة الى ٨ ثم ١٦ ثم ٣٢ ثم ٦٤ وهكذا الى القوّة الحادية والستين فكان محصّل ما بلغ اليه في احصاء تلك الاهتزازات العدد الهائل الذي تراهُ ٢,٣٠٥,٧٦٣,٠٠٩,١١٣,٢٩٣,١٥٢ وقد وجد العالم المذكور انّ الاذن البشريّة تحسّ باهتزازات هذا العدد من القوّة الخامسة الى القوّة الخامسة عشرة فقط اعني من العدد ٣٢ الى ٣٢,٧٦٨ في الثانية بازدياد دقّة الصوت بموجب زيادة الاهتزازات. امّا ما تعدّى ذلك العدد فلا يعود يؤثّر في سمعنا. ومن القوّة ١٦ الى القوّة ٣٥ من العدد المذكور تظهر التموّجات الكهربائيّة. ومن القوّة ٤٥ الى القوّة ٥٠ تتحوّل الحركة الى النور وتظهر الالوان وتتولّد الحرارة. ومن القوّة ٥٠ الى القوّة ٥٧ تصبح الاهتزازات كياويّة اي لا تؤثّر في غير الصفائح الفوتغرافيّة. وما بين القوّة ٥٨ الى ٦١ تتولّد اهتزازات الاشعّة المجهولة (rayons X) المعروفة باشعّة رنتجن. لكنْ في هذا السلّم الذي ضُوعف عدد اهتزازاته يوجد فسحات ذات اهتزازات لا تؤثّر في حواسّنا ولا في ادوات العلم الحديث كالاهتزازات الواقعة بين القوّة ٣٥ الى ٤٥ وما

فوق القوة ٦١ فيقتضى علينا الاقرار بعجزنا تجاه هذه الخوارق وما تأتيه حولنا من العجائب ونحن لها جاهلون

هذه هي الاحوال النظرية التي توصل اليها العلماء المحدثون في بيان تركيب عالم المادة فزاد بذلك صحة قول الفيلسوف القديم انّ روحاً او قوة تحرك المادة (Mens agitat molem) ، فلعمري انّ الكون اشبه بمختبر عظيم تولد فيه القوة المحجوبة اهتزازات مختلفة السرعة متفاوتة الامتداد تصطدم وتتلاطم وينفذ بعضها في بعض دون ان تمتزج قطّ او تختلط البتة وليس الذي ندركه منها سوى النزر القليل . وما نسميه بالكهرباء انما هو ضربٌ من تلك القوة العامة التي تظهر لنا متوشحة بحلل مختلفة فتولد النور والحرارة والصوت والكهرباء واشعة رنتجن واشعة اخرى مجهولة لم نتمكن حتى الآن على اكتشافها او تعريف كنهها

قد تبيّن العلماء انّ الكهرباء كامنة في جميع الاجسام ولكي تبرز فعلها الى العمل لا يقتضيها الّا ان تؤثر فيها بعض العوامل وتتكيف ذراتها بكيفيات معلومة كالاحتكاك والاصطفاق والضغط والحركة والحرارة والتحاليل الكيماوية فتبرز تلك القوة الكهربائية على حسب تركيب الاجسام والوسط الموجودة فيه اشكالاً مختلفة فتارةً تجري وحيناً تتوفر مختزنةً في الاجسام وطوراً تتكيف بكيفيات ظاهرة او مستترة مع صدورها جميعاً من القوة الواحدة التي وضعها الخالق في المادة

وكذلك تتشكل هذه الاهتزازات على حسب حدوثها في اجسام مختلفة التركيب او العنصر ففي التحاليل الكيماوية تظهر على شكل مجرى كهربائي ينتقل الى مسافات بعيدة على اسلاك من المعدن . واذا ما جرت في سلك رفيع وطويل أحمته ورفعت درجة حرارته . واذا دخلت في اسطوانة فارغة من الهواء استحالت الى نور . وتصير في الحديد مغناطيساً واذا ولجت محلولاً كيماوياً اذابته وحللته وفرقت ذراته

وليس في العالم الطبيعي ظاهرة من الظواهر الّا تراقبها الكهرباء فانواء الجو والمغناطيس الارضي والزلازل وانفجار البراكين كلها تحدث مصحوبةً بظواهر كهربائية وربما سبقت الكهرباء وظهرت قبل وقوع هذه الطوارئ . والمراصد الحديثة مجهّزة بأدوات تحسّ بدنوّ هذه الظواهر فتشعر بها قبل حلولها

وهذه الخوارق الطبيعية اذا حدثت لا يستطيع الانسان غالباً ردّ غاراتها واتقاء

عواقبها الوبيلة لكنه يستطيع الآن ان يولدها ويدبر حركاتها لئلا تلحق به اذى بشذوذها فيضع لها حدوداً لا تتجاوزها ويكبح جماحها فتجدي له نفعاً اذ يتوسل بها لحاجاته ويستخدمها لصنائعه . أفلا ترى التلغراف اللاسلكي والتلفون والمحركات الكهربائية والنور الكهربائي والقطارات الكهربائية فكل هذه الاختراعات قد استخرجها الانسان من تلك القوة الجامحة المدمرة القاتلة التي ذللها لخدمته. ولعل هذه الاكتشافات العصرية مع عظم نفعها ليست الا قسماً صغيراً مما يمده لنا الغد لان مجال الاكتشافات واسع جداً وهذه القوة الغريبة التي يقال لها الكهرباء لا تزال بعد في مهد طفوليتها ولم يدرسها العلماء درساً عميقاً الا في العصر المنصرم. اما الآن وقد دخلنا في القرن العشرين فان نطاق العلم قد اتسع فكثر انصاره وتحسنت ادواته وتوفرت معاهده وتوالت بعثاته وتعددت جمعياته فتنشط المكبون على احرازه ولذلك ترى الاكتشاف يتلو الاكتشاف فلا بدع اذا وقف احفادنا على ما لا نعلم به اليوم فان الحصاد كثير والفعلة قليلون

وقد دعا الله الانسان مالك الكون الى درس مملكته التي جعل لها نواميس وشرائع هي في غاية الضبط والدقة فلا يسعه ان يجهل البيت الذي اسكنه فيه الخالق وولاه على تدبيره . فعليه ان يفرغ جهده في التنقيب عن تلك القوى الكامنة التي تكتنفه . فاذا اذخر العلم الحقيقي ساعده على كشف غوامض الطبيعة واماط له النقاب عن بعض معمياتها . وكلما توغل في مجاهل الطبيعة واستضاء بنور العلم الصادق وجد نفسه حقيراً امام تلك العظائم الدفينة وزاد تأكيداً بان هنالك وراء هذه الظواهر والمرئيات الطبيعية يداً ضابطة زمام المادة يداً عاقلة حكيمة تحسن تدبير هذا الكون يداً ازلية ابدية اليها مرجع كل علم صحيح

امام هذه القوة المعجزية امام ذلك المحرك غير المتناهي القدرة امام تلك اليد الضابطة الكل لا يتمالك المرء العاقل من ان يردد آية النبي والملك داود: السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر بعمل يديه

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتبع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ

كان لعرب الجاهليَّة شركهم كما سبق · الَّا انَّ الآثار العربيَّة الباقية من العهد السابق للاسلام قلَّما تُشعر بالشرك لنفوذ التوحيد بينهم بفضل الدين المسيحيّ · وها نحن ذا ندوّن الالفاظ النصرانيَّة الواردة في شعرهم المثبتة لقولنا

(الدِّين) انَّ لفظة الدين بمعناها الخاص اي العبادة لله قد سبقت الاسلام واوَّل ما نجد لفظها في الشعر العربيّ مدلولها الدين النصرانيّ · قال النابغة يمدح ملوك غسَّان النصارى بدينهم :

مجلَّتهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وروى اللسان محلَّتهم اي الارض المقدَّسة · ومثلهُ ما انشدهُ نبيّ الاسلام عن شاعر جاهليّ « لما افاض من عرَفة الى مزدلفة وكان في بطن محسِّر الذي كان موقف النصارى » (تاج العروس ٣ : ١٤٠ و٦ : ٣٦٢) · وفي الابيات اشارة الى الناقة التي كان راكبا في مسيره الى الحرم :

اليك تعدو قلقًا وضينُها معترضًا في بطنها جنينُها
مخالفًا دينَ النصارى دينُها

وكذلك روينا لورقة بن نوفل النصرانيّ قولهُ (الاغانيّ ٣ : ١٦) :

ادينُ لربٍّ يستجيب ولا ارى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهر واعيا
اقول اذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

ولأُميَّة في معناهُ قولهُ :

رضيتُ بك اللهمَّ ربًّا فلن ارى ادينُ الهًا غيرك الله ثانيا

ومن حكم عديّ بن زيد قوله :

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

والدين ايضاً بمعنى الحكم والقضاء والحساب . قال السيّد المسيح (متّى ٧ ١-٢) : «لا تدينوا لئلا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون» فجاءت اللفظة في الشعر الجاهليّ مقتبسةً من الآية السابقة . قال خويلد بن نوفل الكلابيّ يخاطب الحارث بن ابي شمر (التاج ٩ : ٢٠٧) :

يا حارِ أيقِنْ انّ ملكك زائلٌ واعلم بأن كما تدينُ تدانُ

والى هذا المعنى يعود اسمهُ تعالى بالديّان ورد في الشعر الجاهليّ . وبهِ دُعي آل عبد المدان بن الديّان سادة بني الحارث بن كعب النصارى "الذين كانوا يتبارَون في البِيَع وزيّها" (البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٧)

(العبد ... التعبّد ... العبّاد ... العبادة) هي ايضاً مفردات سبقت الاسلام ودلّوا بها على من يعبد الله من النصارى . قال النابغة :

لو أنّها عرضت لأشمط راهبٍ عبدَ الاله صرورةٍ متعبّدِ ...

وقال اميّة بن ابي الصلت في الملائكة :

فمنهم العبّادُ المطيقون لأمرهِ ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنّدُ
ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجّدُ

والعباد قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانيّة فدُعوا بالعباد لزهدهم . ويقال لنسّاك النصارى الأعابد ايضاً قال ابو دؤاد الايادي يصف مصابيح الرهبان في مشارف الجبال (التاج ٢ : ٤١٠) :

لمنْ كثار الرأس بالسيفاء تذكيها الأعابدْ

وكثيراً ما يطلقون اسم العباد على كل البشر ولاسيّما الذين يعبدون الاله الحقّ قال اميّة :

لك الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا دِ انت المليكُ وانت الحكَمْ

وقال ايضاً :

ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعاً كَذَبْ

ومثله العبادة مطلقاً خصّوها بعزّته تعالى . قال زيد بن عمرو :

ولكن اعبد الرحمان ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

وقال ورقة بن نوفل :

لا تبدُنْ الّا غير خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا حَدَدُ

(آمن . . . ايمان . . . المؤمن) كلّ هذه الالفاظ سبقت ايضاً الاسلام فاتّخذها النصارى لاعتقادهم ولعلّهم استعاروها من السريان . وقد وردت في اخبار المتنصّرين في الجاهليّة كرواية اصحاب الكهف (مجاني الادب ٢ : ٢٣٢ – ٢٤٠) ورواية تنصّر اهل نجران (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٥٥) . لا بل ذكرها في القرآن (سورة البقرة ع ٢٨٥) واطلقها على النصارى ايضاً فقال : « والمؤمنون كلٌّ من آمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ . . . لا نفرّق بين احد من رسلهِ » . ومثلها في سورة آل عمران : « ومنهم المؤمنون . . . من اهل الكتاب أُمّة يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهَون عن المُنكر . . . »

(العيد) هي من الالفاظ الدينيّة التي استعارها النصارى في الجاهليّة عن الاراميين وهي بالسريانيّة « ܥܐܕܐ » . وقد نطق بها امرؤ القيس فقال يصف سرباً من المها اي بقر الوحش :

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مهذّبِ

اشار الى لبس الراهبات في اعياد النصارى للملاء والانسجة الطويلة الاذيال . ومثلهُ تصريحاً قول العجّاج في ثور وحش اعتاد الارباض كاعتياد النصارى اعيادهم (الالفاظ لابن السكيت ص ٤٤٦) :

واعتاد ارباضاً لها آريُّ كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ

(النذر) ومن عادات النصارى ان يوجبوا على نفوسهم نوافل تقويةً حبّاً بالله . وذلك النذر من السريانيّة « ܢܕܪܐ » . والنذير (ܢܙܝܪܐ) عند بني اسرائيل المتطوع لخدمة الله . وجاء في قصّة مريم (سورة آل عمران ع ٣١) : « اذ قالت امرأت عمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّراً فتقبّل مني » . وسبق اميّة بن الاشكر الكنانيّ (راجع حماسة البحتري ع ٥٢٠) فقال :

كم من اسيرٍ من قريشٍ وغيرها تداركَهُ من سَعْينا نذرُ ناذرِ

فلمّا قدرْنا انقذتْهُ رماحنا فآب الى آلائهِ غيرَ شاكرِ

وورد لاميّة بن ابي الصلت يذكر نذر ابراهيم لابنهِ اسحاق وفيه ذكر (الاحتساب) وهي ايضاً من الفاظهم الدينيّة بمعنى الثواب والاجر قال (تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨) :

ولإبراهيمَ المُوفي بنذرٍ إحتساباً وحامل الاجذالِ

الى ان قال :

أَبُنيَّ انّي نذرتُك للـهِ شحيطاً فاصبِرْ فدىً لك حالي

ثم الدين مقامات وابنية مخصَّصة بالعبادة شاع عند العرب المسجد والمعبد والمصلّى والمنسك والكعبة . . وكلّ هذه الالفاظ قد سبقت الاسلام واستعملها اهل الجاهليّة ولاسيّما النصارى للدلالة على دينهم

(المسجد) قال الزَّجاج في تعريفهِ (لسان العرب ٤ : ١٨٨) : « كلُّ موضع يُتعبَّد فيهِ فهو مسجد ». وقد اطلقوها على هيكل اورشليم كقول الطبري في تاريخهِ (١ : ٧٢٩) عن يوسف خطيب مريم : « تولّى يوسف خدمة المسجد » وقال ابن خلدون في تاريخهِ عن العذراء مريم (٢ : ١٤٤) انَّ حنَّة أُمَّها « جاءت بها الى المسجد ندفعتها الى عبّاده » . وقد مرَّ ايضاً ذكر « مسجد مريم » كما ورد في معرفة البلدان للمقدسيّ (ص ٧٧) . ولا نشكّ انها وردت ايضاً في الشعر القديم . ومما رواهُ سيبويهِ عن بعض الشيوخ (تاج العروس ٥ : ١١٩) قولهُ :

اوصاك ربُّكَ بالتُقى وأولو النُهى اوصوا معَهْ

فاختَرْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ او صومعَهْ

(قال) الصومعة بيت النصارى . فذكرُ المسجد معها اشارةٌ الى انها في معناها شائعة ايضاً عند النصارى . وقد ورد اسم المسجد في القرآن (سورة الاسرى ع ١) دلالةً على « المسجد الاقصى » في القدس الشريف

وما قلناهُ عن المسجد يصحُّ ايضاً في المعبد والمصلّى اي مقام العبادة ومحلّ الصلاة ومكان النسك فانَّ هذه الالفاظ كلها يرتقي عهدها الى الزمن السابق للاسلام

(الكَعْبة) اصلها الغرفة المكعَّبة اتخذوها للكعبة الحرام في مكَّة . وقد استعملها ايضاً النصارى للدلالة على كنائسهم في الجاهليَّة كما اشرنا اليهِ في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ٦٤) عند ذكرنا كعبة نجران وكعبة اليمن دلّوا بها الى كنيسة في نجران قال الاعشى :

وكعبةُ نجران حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بابوابها . . . الخ

وكان لكنائسهم حَرَمٌ لا يجوز انتهاكُ حرمتهِ ان دخلهُ جانٍ أَمِن على حياتهِ . راجع في المشرق سنة ١٩١٠ (١٣ : ٧١) مقالة حضرة الشماس المسيو ن. بيرون في حِمى كنيسة دمشق قبل الاسلام وعلى مثالهِ كان حَرَم مكَّة

وفي مساجدهم امكنة خاصة تُعرف باسمائها كالمِحراب والقبلة

(فالمِحرَاب) يراد بها مطلق المسجد . قال صاحب تاج العروس (١ : ٢٠٧) : محاريب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلُّون فيها . وكذلك النصارى قد سمُّوا صدر كنائسهم المحراب كما دلَّ بها المسلمون بعد ذلك على صدر مساجدهم . قال في القرآن في سورة آل عمران عن زكريا (ع ٣٢) انهُ كان « يدخل المحراب على مريم » . وتكرَّرت في الشعر القديم قال الاعشى (لسان العرب ٧ : ١٧) :

كدميةٍ صُوِّر محرابها بمُذهَبٍ ذي مرمرٍ مائرِ

وقال المسيَّب بن علس (التاج ١ : ٢٠٧) :

او دميةٌ صُوِّر محرابها او دُرَّةٌ شيفتْ الى تاجرِ

وقال امرؤ القيس :

كغزلان رملٍ في محاريب اقوالِ

وقال عدي بن زيد (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٥) :

كدُمَى العاجِ في المحاريب اوكا لبَيض في الروض زهرهُ مستنيرِ

وقال وضَّاح اليمن

رَبَّةُ محرابٍ اذا جئتُها لم أَلقَها او ارتقي سُلَّما

ومثل المحراب القِبلة وهي وِجهَة المسجد جاءت في الشعر الجاهليّ روى صاحب اللسان (١٤ : ٣١٤) والجواليقيّ في المعرَّب (ed. Sachau, p. 9) لعبد المطلب قولهُ :

عُذتُ بما عاذَ بهِ ابراهمُ مُستقبِلَ القِبلةِ وهو قائمُ

(ومما يلحق بالمساجد المنارة) وهي من النور كالسرجة وقيل من النار وقد اشتقَّها العلماء من السريانيَّة (ܡܢܪܬܐ) بهذا المعنى والمسلمون يريدون بها المئذنة . والمنارة سبقت عهد الاسلام فاستعملها امرؤ القيس في معلَّقتهِ بمعنى المصباح كان الرهبان يوقدونهُ لمناسكهم في قمم الجبال ليلاً قال :

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنَّها منارةُ مُمسَى راهبٍ متبتِّلِ

وكانت المناور تُسرَج في الكنائس . ثمَّ اتخذوها بمعنى المجاز فاطلقوها على الصومعة ومقام الرهبان ومحلّ عبادتهم . وفي الاغاني (٢٠ : ٨٥) وردت المنارة والصومعة بمعنى واحد . وكثيراً ما كانت صوامع الرهبان مرتفعة مشيدة على شبه الابراج بل اكتشف الاثريون في كنائس ما بين النهرين وشمالي سورية عدَّة كنائس كانوا شيَّدوا في اعلاها ابراجاً مستديرة او مربَّعة يؤذنون فيها بمناسكهم او يقرعون فيها النواقيس فلمَّا جاء الاسلام اتخذوا المناور على مثال الصوامع وتلك البروج . وقد اثبت العلَّامة غوتيل (Gottheil) من اساتذة كلّية كولمبيا (١ ان المسلمين في اوَّل عهدهم كانوا يجتمعون لصلاتهم دون اذان قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüselfenld. p. 347): « وقد كان رسول الله حين قدموا انَّما يجتمع الناس للصلاة بغير دعوة » وكذلك قال القسطلاني في ارشاد الساري (ج ٢ ص ٣): « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحيون الصلاة ليس يُنادَى لها » ثم « ذكروا ان يُعلموا وقت الصلاة بشيءٍ يعرفونهُ فذكروا ان ينوّروا ناراً او يضربوا ناقوساً وأمر بلال (المؤذّن) ان يشفع الاذان » ثمَّ سُنَّ الاذان بعد ذلك في موضع بارز وموضع عالٍ . وربَّما صعد المؤذّن سور المدينة ليدعو الى الصلاة انشد ابن البرّي للفرزدق (لسان العرب ١٦ : ١٥٠) :

وحتى علا في سور كل مدينةٍ منادٍ يُنادي فوقها بأذانِ

واثبت غوتيل انَّ اقدم مساجد المسلمين كمساجد بلد الحرام والمدينة والكوفة والبصرة ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط لم تجهَّز لها المناور وانَّ اوَّل ما ورد ذكر المنارة في خلافة معاوية اقامها زياد بن ابي سفيان في مسجد البصرة . قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ٣٤٧–٣٤٨) : « لمَّا استعمل معاوية زياداً بن ابي سفيان على البصرة زاد في المسجد زيادةً كثيرة . . . وبنى منارتهُ بالحجارة وهو اوَّل من عمل المقصورة »

والمئذنة) محلّ التأذين اي النداء الى الصلاة وردت بمعنى المنارة والصومعة . قال في تاج العروس (٩ : ١٢١) : « المئذنة موضع الاذان للصلاة او المنارة كما في

---

١) اطلب مقالتهُ في المجلة الاميركية الاميركيّة The Origin and History of the Minaret, JAOS, XXX, (1910) p. 132-154)

الصحاح. قال ابو زيد المئذنة والمؤذنة وقال اللحياني هي المنارة يعني الصومعة على التشبيه. والمؤذن المنادي للصلاة». وقد جاءت في الشعر القديم قال عدي بن زيد النصراني (في معجم ما استعجم للبكري ص ٢٣٣):

يَلْ يُحْوِشُ ما يدعو مؤذّنهم لأمر رُشْدٍ ولا يحتثّ انظارا

ومن مرادفات المنارة عندهم ايضاً (المصباح) واصلهُ السراج وقد استعملهُ أوس بن حجر في شعرهِ بمعنى المشعل الذي يوقدهُ رؤساء النصارى في ليلة الفصح قال يصف سناناً (راجع شعراء النصرانية ص ٤٩٤ وديوانهُ ص ٢٠ ,ed. Geyer):

عليهِ كمصباح العزيز يشبّهُ لفصحٍ ويحشوهُ الذُبالَ المفتّلا

قال الشارح: «اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لا سيما اذا أشعلهُ في ليلة فصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان أنور واكثر ضوءًا»

واوّل الفرائض المقامة في المساجد الصلاة. وقد تكرر ذكرها في شعر النصارى قبل عهد الاسلام. قال منظور الاسديّ يصف بعيرًا شبّه موقع ثفناته اذا برك بموقع كفّي راهب على الارض اذا صلّى عند الفجر (الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢):

كأنّ مهواهُ على الكلكلِ موقعُ كفّي راهبٍ يصلّي
في غَبَش الصبحِ او التجلّي

وقال البعيث يذكر صلاة الرهبان وهم قيام (التاج ١٠: ٥٣ واللسان ١٨: ١١١):

على ظهر عاديّ كأنّ أرومهُ رجالٌ يتلون الصلاة قيامُ

(قال) «تلى فلان صلاتهُ اي أتبع الصلاة او اتبع المكتوبة التطوّع». ثم كانوا يصلّون على الخمر في التقديس قال الاعشى يصف خمرًا:

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وان ذُبحت صلّى عليها وزمزما
يابليّ لم يُحضَرْ فسالك سلافةٌ تخالط قنديدًا ومسكًا مختّما

ومثلهُ ما رويناهُ عن ايمن بن خُزيم في خمر جرجان (الاغاني ١٦: ٤٥):

وصهباء جرجانيّة لم يُطُفْ بها حنيفٌ ولم ينغرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسّ المُهيمنُ نارها طروقًا ولا صلّى على طبخها حَبْرُ

والصلاة اكثرما تتمّ بالسجود والركوع والتسبيح . وكلّ ذلك قد تكرّر ذكرهُ عن نصارى العرب في الجاهليَّة . قال الضرّس الاسديّ (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسخالِ ساجيةِ العيون خواذلٍ بِمِادٍ لِينَةَ كالنصارى السُّجَّدِ

(قال) « لِينة ماء لبني غاضرة » . وكذلك ورد في شعر لبيد مما قالهُ في الجاهليَّة (اطلب ديوانهُ في طبعة ڤينا ص ١١٣) وقد وصف الثور فشبَّههُ عند اكبابهِ بالمصلّي الذي يقضي نذرًا قال :

فبات كأنَّهُ يقضي نُذورًا يلوذُ بِغَرْقَدٍ خَضِلٍ وضالِ

(قال الشارح) : ويروى : يُطيفُ بغرقدٍ . وبات اي الثور اي بات مكبًّا كأنَّهُ يصلي صلاةً يقضي بها نذرًا . والغرقد والضال نباتان

قال آخر يصف راهبًا (المفضّليات ed. Lyall, p. 411) :

وأشمثَ عُثوانٍ بهِ من سجودهِ كركبةِ عَنْزٍ من عُنوزٍ بني صخرِ

وأنشد في هذا الباب عن المرأة النصرانيَّة الساجدة (كتاب سيبويهِ طبعة بولاق ٢ : ٦٢) :

فكلتاهما خرَّت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانةٌ لم تَحَنَّفِ

ومن عادة النصارى ان يحنوا رؤوسهم اكرامًا لرؤسائهم قال حُميد بن ثور (المخصّص لابن سيده ١٢ : ٨٧) :

فضولُ ازمّتها أسجدت سجودَ النصارى لأربابها

ومن قبيل السجود الركوع وهو انخفاض المصلّي برأسهِ والكبابة لوجههِ . وقد ورد في شعر امية بن ابي الصلت عن الملائكة قولهُ :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسَهُ يعظِّم ربًّا فوقَهُ ويمجِّدُ
وراكعُهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعًا يردِّدُ آلاء الالهِ ويحمدُ

وكان الراهب لكثرة صلاتهِ يدعى راكعًا . ومثلهُ الحنيف مرادف الراهب كما مرَّ ال في تاج العروس (٥ : ٣٦٣) : « وكانت العرب في الجاهليَّة تسمّي الحنيف اكعًا اذا لم يعبد الاوثان ويقولون ركع الى الله قال الزمخشري اي اطمأنَّ قال . نابغة الذبيانيّ :

سيبلغ عذرًا او نجاحًا من امرئٍ الى ربّهِ ربّ البريّة راكعِ

ومن آداب الصلاة (التسبيح) اي شكرُ الله وتقديس اسمهِ وتعظيم آلائهِ جاءت في الشعر الجاهليّ قال اميَّة (تاج العروس ٢ : ١٥٧) :

سبحانهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ لهُ وقبلَنا سبَّح الجوديُّ والجُمُدُ

وقال الاعشى (لسان العرب ٣ : ٢١٠) :

وسبِّحْ على حينِ العشيَّات والضُّحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وروي بيت عمرو بن عبد الحقّ للاخطل على هذه الصورة (ياقوت ١ : ٧٨١) :

وما سبَّح الرهبانُ في كلّ بيعة ابيل الابيلين المسيحُ بن مريما

ومن الآداب الدينيَّة (الصوم) . والنصارى قد اشتهروا به . قال النمر بن تولب (كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ١٩) :

صدَّتْ كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبيلَ الفِصحِ صوَّامُ

وقال اميَّة بن ابي الصلت عن الابرار في النعيم :

اذا باتوا التي أُجروا اليها تقبَّلهُمْ وحاللَ من جرومُ

ومن الفرائض الدينيَّة (الحجّ) ويراد بهِ اصطلاحًا قصدُ مكَّة للنسك لكنَّ اللفظة في الاصل يراد بها مُطلق النسك . وهي مشتقَّة من العبرانيَّة חג وتكرَّرت في الاسفار المقدَّسة بمعنى العيد والاحتشاد . وقد استعملها المقريزيّ في الخطط (ج ٢ ص ٤٧٩) لليهود . قال في ذكر اعيادهم في ايار : « وفيهِ عيد الوقف وهو حج الاسابيع ... ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة » . وكذلك استعملها الكتبة المسلمون لغير قصد مكَّة قال الادريسي في وصف المغرب (ed. Dozy et de Goeje, p. ٦٤) عن قبر ابن تومرت انَّ المصامدة جماعةً « حجًّا يتقصدون اليهِ من جميع بلادهم » . ومثلهم نصارى العرب فأنَّهم استعاروا اللفظة من السريانيَّة وهي عندهم كثيرة الاستعمال للدلالة على كلّ الحفلات الدينيَّة فاتخذوها بهذا المعنى وبمعنى زيارة الامكنة المقدَّسة . فقد وردت في ذكرهم الكعبة اليمنيَّة اي كنيسة نجران وفي زيارة بيت المقدس وقد استعملها ابن القلانسي في كتابهِ ذيل تاريخ دمشق (ص ٦٦) لزيارة بيعة القيامة : « هذه بيعة ... تعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجّ اليها عند فصحهم » . وقال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢ : ٧٠٣) ان « بني عبد المدان بنوهُ مربّعًا ... فكانوا يحجّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة . ويحجّهُ خثعم قاطبةً ... »

وكانوا اذا حجّوا الى بعض كنائسهم طافوا حولها كما نص عليه قدماء الكتبة ومنهُ (الطّواف) وعلى مثل ذلك كانوا يطوفون حول الكعبة (لهُ بقيّة)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني برجس افندي صفا (تابع)

١١ ﴿كتاب البصائر النّصيرية في المنطق﴾ تصنيف الشيخ الامام القاضي زين الدين بن سهلان الساوي (١) وهو ١٦٦ ورقة وكل صفحة ١٧ سطرًا طول المكتوب في الصفحة ١٥ سانتي بعرض ١١ مضبوط بالشكل الكامل. وهو غاية في الضبط والاتقان وخطّهُ حسن كُتب في آخره ما يأتي

علّقهُ لنفسهِ العبد الفقير الى رحمة ربّهِ محمد بن موسى بن مفرّج الاندلسيّ ثم الحرّاني حامدًا الله تعالى ومصلّيًا على رسولهِ محمّد وآلهِ واصحابهِ وازواجهِ. وسلّمًا ووافق الفراغ منهُ يوم الثلثاء في الشهر الاخير من ربيع الاول سنة ستٍّ وستمائة (١٢٠٩ م) بمدينة السلام بغداد حرسها الله تعالى. قوبل هذا الكتاب فصحّ بتوفيق الله اه

وقد طُبع هذا الكتاب في مصر بتصحيح العلّامة الشيخ محمد عبده المشهور عن نسخة مضبوطة وقابلتُ بين النسخة المطبوعة وبين هذه النسخة فوجدت في نسخة الطبع كثيرًا من التحريف والمخالفة للاصل بل كثيرًا من العبارات ساقطًا بحيث يختلّ المعنى ويُفقد الارتباط ببعضهِ ولولا خشية التطويل لأوردت شيئًا من هذا ولعلّي اعود اليهِ في فرصة اخرى

وممّا قال المؤلف ابن سهلان المذكور في مقدمة الكتاب :

« ولن يعرف قدر هذا الكتاب الّا من طال نظرهُ في كتب المتقدمين بعين التأمل فيجد فيه عند تصفّحه ايضاح ما اغفلوه وتفصيل ما اجملوه وتنبيهًا على مواضع غلط يُعمّ المتعلّم المتفطّن لما عساها ذهبت عليهم »

وذكر في الفصل الاول ماهية المنطق ووجه الحاجة اليهِ ومنفعتهُ . وفي الفصل الثاني موضوع المنطق . ثم قسم الكتاب الى مقالات والمقالات الى فنون وفصول .

---

(١) وفي كتاب كشف الظنون للحاج خليفة (مجلد ٣ صفحة ٤١٣) يسميه عمر بن سهلان الساوجي ويذكر لهُ كتاب الرسالة السنجرية في الكائنات العنصريّة

وأدخل في الكتاب المقولات العشر وشرحها بأكمل بيـان وتعقّب ابنَ سينا وغيرهُ في مسائل كثيرة وذكر موجّهات القضايا (على طريقة مناطقة العرب وتناقضها وعكوسها وقياساتها والمصادرة على المطلوب والامور الشبيهة بالقياس وهي ليست قياساً كالقسمة والاستقراء والتمثيل ثم ذكر موادّ الحجج ثم اجزاء العلوم البرهانية ثم ذكر رسوم الفاظ استُعملت غير مشروحة المعاني وهي العلم والعقل والظن والجهل والذهن والفهم والفكر والحدْس والذكاء والحكمة. واطال في تحقيق المغالطات وبالجملة ان الكتاب جامع لكل ما يتعلق بالمنطق ممّا خلا كثير من كتب المنطق منهُ . ونظن ان هذه النسخة لا نظير لها في ضبطها وتصحيحها

١٢ ﴿كتاب المُغرب﴾ للمطرّزي شارح مقالات الحريري لا تاريخ لكتابته ويُظن انه كُتب منذ خمسمائة سنة او اكثر وهو قاموس في غاية الضبط في ٢١٨ ورقة طول المكتوب في كل صفحة ١٨ سانتي بعرض ١٣ مذكور في ظاهر الصفحة الاولى منه « انه كُتب باسم الجناب العالي الزيني ياقوت الابيجاري ». وهو غاية في الضبط والاتقان كامل الشكل بالحركات

١٣ ﴿ديوان المتنبي﴾ وعلى هامشه شرح كامل مستوفي لكل بيت من الديوان لم يُذكر مؤلفهُ . والمتن مضبوط بالشكل الكامل مع بيـان الروايات التي قُرئ بها البيت وهو نهاية في الضبط وفي كثير منه مقدمة على القصيدة او الابيات يبيّن فيها الغرض الذي لاجله نظم المتنبي القصيدة او الابيـات بياناً وافياً . فمن ذلك القصيدة التي اولها :

ذي المعالي فليَعْلُوًا (١ مَن تعالى هكذا هكذا وإلّا فلا لا

فقدَّم عليها ما نصّهُ وقال :

« إنه ورد على سيف الدولة الخبر آخر النهار يوم الثلثاء لستٍّ خلون من جمادى الاولى سنة اربع واربعين وثلثمائة (٩٥٥ م) بان جيش العدوّ ألدُّمُستُق وجيوش النصرانية قد نازلت ثغر الحدث في يوم الاحد ونصبت مكايد الحصون عليه وقدّرت انها فرصة لما تداخلها من القلق والانزعاج والغم في تمام بنائه على يد ابن حمدان ولانّ ملكهم الزمهم قصدها وانجدهم

---

١) هكذا ضبطها الناسخ بقلب نون التوكيد الفاً وكتابة التنوين بصورة النصب وعلى ذلك جرى في سائر الديوان

باصناف الكفرة واخذ سهم المُدَد . فركب سيف الدولة لوقته نافرًا وانتقل الى موضع غير الموضع الذي كان بهِ ونظر فيما وجب ان ينظر فيهِ في ليلة وسار من حلب غداة يوم الاربعاء لسبع خلون من جمادى الاولى فنزل رَعْبان واخبارُ الحدث مستعجمة عليهِ لضبطهم للطرق وتقديرهم ان يخلى عليهِ خبرهم. فلما اسحر لبس سلاحهُ وأمرَ اصحابه بمثل ذلك وسار زحفًا . فلما قرب من الحدث عادت اليهِ الطلائع فاخبرتهُ بان العدو لما اشرفت عليه خيول سيف الدولة على عقبة يقال لها العيرانيّ ولم يستقرّ بهِ قرار وانتهج اهل الحدث من الدار بالمبر خوفًا من كمين يعرض الرسل. فنزل ابن حمدان بظاهرها وذكر خليفتهُ بها انهم نازلوه وحاصروه فلم يخلهِ الله من نصر عليهم الاَّ من نقوب نقبوها في قسطل كان قديمًا للمدينة واتاهم طلائعهم بخبر ابن حمدان في اشرافه على ثغر رَعْبان فوقعت الصيحة فيهم فظهر الاضطراب وولى كل فريق على وجهه وخرج اهل الحدث فاوقعوا ببعضهم واخذوا آلة حربهم واعدموها في معظم ا ه

وفي آخره ثلاثة ابيات ملحقة بشعر المتنبي وهي :

تجنّى عليّ الذنبَ والذنبُ ذنبهُ وعاتبني ظلمًا وفي شقهِ العَتْبُ
وأعرض لما صاد قلبي بكفهِ فهلّا جفاني حين كان ليَ القلبُ
اذا ابرم المولى بخدمة عبدهِ تجنّى له ذنبًا وان لم يكن ذنبُ

قال بعضهم : سمعت ابا علي البلخي يقول : سمعت بعض بني اسد يقول : اخر ما سمعنا من ابي الطيب حين بحاربتنا اياه ينشد :

كن الزمان يرقّي باماني فاذاقني المكروهُ من حدثانهِ
فانا النذير من الزمان لكل من امسى واصبح واثقًا بزمانهِ

انشد ابو جعفر الرايبي قال : انشدني ابن الحسين النباسي قال : انشدني المتنبي لنفسه بفارس :

دنا ودنا حتى اذا ما ألفتهُ تأى ونأى حتى كأن لم يكن اصلا
وقد كان شغلا للفؤاد دنوّهُ فلما نأى زاد الفؤادُ بهِ شغلا

ووقع الفراغ من تحريره رابع عشرين من صفر سنة خمس وخمسين وسبعمائة (١٣٥٤ م) والحمد لله وحده نحرره العبد الضعيف النحيف الرهيق في لجج المعاصي محمد بن عمر بن اسحاق التيمري احسن الله عاقبتها ولجميع المسلمين اجمعين

وكله مكتوب بخط جميل على ورق نفيس

٤١ ﴿ نسخة ثانية من ديوان المتنبي ﴾ بخط جميل كُتبت سنة تسعمائة وسبعين هجرية (١٥٦٢ م) مغ . وفي كثير من القصائد والابيات يُذكر في اولها مقدمة لبيان الداعي لنظمها كما مرّ في ما سبق وفي هذه النسخة زيادةٌ على تلك شرح

كثير من الالفاظ من المتنبي نفسه والاستشهاد على ذلك من شعر العرب . فمن ذلك قوله :

طلب الإمارة في الثغور ونشوه ما بين كرخايا الى كلواذا

قال ابو الطيب : كَلواذا البلد بفتح الكاف والكلواذ بكسر الكاف تابوت التورية . ومنه :

احادُ ام سداسٌ في أحادِ لُيَيْلَتُنا المنوطةُ بالتنادِ

قال ابو الطيب : يقال أُحادَ وثُناء وثُلاثَ ورُباعَ وخُماسَ وسُداسَ وسُباعَ الى العشرة في المؤنث والمذكر غير مصروف والفرّاء يصرفها اذا جعلها نكرات وكل ما لا ينصرف من الاسماء ينصرف في الشعر لان الصرف الاصل وهذا الذي ينسب اليه في العدد فيقال : ثُنائيٌّ وثُلاثيٌّ ورُباعيٌّ وخماسيٌّ الى عُشاريٌّ . قال ابو النجم :

فوق الخُماسيّ قليلًا يفضُلُه ادرك نبلا والرهانُ عَمَلُه

وانشد

ضربت خماسَ ضربةَ عبشميٍّ أراد سداسَ الّا يستقيما .

وقال الكميت :

فلم يستريثوك حتى رميتَ فوق الرجال خصالًا عُشارى

وانشدني :

احمُ الله ذلك من لقاء أُحادَ أُحادَ في شهر حلال

وقال الهذلي :

يجنّد أحدان الرجال وان بهم ثناءهمُ بفرخ جمم ثم يزدد

وحكى ابن السكيت عن ابي عمرو : أدخلوا مَوحَدَ مَوحَدَ ومَثنى مَثنى ومَثلَثَ مَثلَثَ ومَربَعَ مَربَعَ كذلك الى العشرة . وكذلك : أدخلوا أُحادَ أُحادَ وثُناءَ ثُناءَ وثُلاثَ ثُلاثَ ورُباعَ رُباعَ الى العشرة . قال علي[2] : وقال ابو الطيب وكان ابو حاتم تبع ابا عبيدة في قوله في كتاب المذكر والمؤنث «ورُباع رُباع لا نعلمهم» قالوا فوق ذلك . ثم رجع منه في كتاب الابل ورباع الى العشرة . قال ابو الطيب : أُلَيْلَتُنا تصغير تعظيم كقول لبيد :

وكل اناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَةٌ تصفرّ منها الانامِلُ

الرواية التي اعرفها خُوَيْخِيَة وكذلك انشد المبرّد والتريدي وثعلب والناس وانشديه المتنبي دويهية . وقال الانصاري[3] : انا جُذيلها المحكّك وعُذيقها المرجّب (قال) وتصغير الاسماء على هذا كقول كُلَيب وعُمَير (قال) ومما يُروى عن امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رض انا هُوَيّ[4] وسمي سلاحي والتنادي اراد التنادي بالرحيل اه

وفي آخر هذا الديوان ذكر مقتل المتنبي اوله : قال كنا كتبنا الى ابي نصر محمد ابن المبارك الجبلي نسأله شرح ذلك وهذا الرجل من وجوه الثني بهذه الناحية وله

ادبٌ وحرمة فاجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه: «واما ما سألتماني عنه من خبر ابي الطيب... ».وساق الخبر في صفحتين. وفي آخر الخبر:

« هذا ما وجدتُه في النسخة التي نُقلت بخط الخالديين وعلى ظهرها ابن ابي القسم المغربي وهو جميع ديوان ابي الطيب المتنبي وفيها مكتوب بعد الحمدلة ما مثاله : « وكتبهُ محمد المزّات بالموصل في سنة خمس وثلاثمائة (٩١٧م) وهو يستغفر الله من عمد او خطإ». ثم قال: «وشعر المتنبي مائة وثمان وثلاثون قصيدة ومائة واثنتان وثلاثون مقطوعة وما زاد على عشرة ابيات قصيدة وما كان عشرة ابيات او دونها مقطوعة »

١٥ ﴿كتاب المرقة﴾ تأليف ابي العباس احمد بن ابي احمد الفقيه بخط دقيق وخطّه في غاية الحسن والضبط بالشكل وورقهُ جيل جداً وهو ٤١ ورقة او ٨٢ صفحة في كل صفحة ١٩ سطراً وطول الكتابة ١٦ سانتي وعرضها ٧ اوله بعد البسملة :

« الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور » (الى ان قال):« قال ابو العباس احمد بن ابي احمد الفقيه رحمهُ الله . . تتبّعت من علم دلائل القبلة وزوال الشمس ومنازل القمر وطلوع الفجرين ومقادير الفيء واوقات الصلاة مما الفهُ الماضون قبلي جملًا والفقتُ الثانية بين ما اختلفوا فيه على قدر الزمان واقاليم البلدان بعد السبر والامتحان واختصرت اذلك كتاباً جامعاً لجليل علمه واطيفه شاملًا على ما فيه يعون الله الكفاية ان وُفّق للهداية وعملت الحساب على شهور العرب والروم والفرس دون حساب الهند والمنازلة والقبط رجاء التقريب على المتأمل وتسهيل العناية على الناظر.

اما ابواب الكتاب فهي : ١ تحويل القبلة الى الكعبة . ٢ الجَدْيُ والقطب ونجوم القبلة . جهات البلاد الى بيت الله الحرام . ٤ هيئة الارض وتدويرها بالكعبة . ٥ طول الارض وعرضها . ٦ طول بيت الله الحرام وجزيرة العرب . ٧ البحار وطولها وعرضها . ٨ الانهار . ٩ تقسيم الارض واقاليمها . ١٠ الجبال . ١١ البلاد

وفي هذا الباب رسم صورة المسجد الحرام والكعبة وما فيها من الاسطوانات. ثم ذكر المدينة . ثم ذكر البصرة ثم مدينة الحضر والخورنق ثم ذكر بيت المقدس ثم القسطنطينية وقصورها وكنائسها ووصفها . ثم البلد الرومية (رومية) ورسم صورة اسوارها . ثم بلد الرقيم واصحاب الكهف. وسدّ ياجوج وماجوج وصنماء. وبلد ارم ذات العماد والاسكندرية ومنارتها وقصر شَميد والاندلس واصبهان وطبرستان وسمرقند وخرابات البلاد ووصف جميع ذلك. ثم ذكر مدة الدنيا الى يومهِ (الذي

الف فيه الكتاب) ثم ذكر الخلفاء الى الراضي ابي العباس احمد بن المقتدر الذي ولي سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) وفيها ينتهي التأليف وفي آخر الكتاب ما يأتي : " تمّ الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة على نبيه النبيه محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وعترته والسلام سنة احدى وثمانين وسبعمائة الهجرية الهلالية (١٣٧٩ م) " فيكون تأليف الكتاب منذ ١٠١٩ سنة ونساخته من ٥٥٠ سنة . ومما جاء فيه وصف قسطنطينية نوردُه تفكهة دون القطع بصحة الرواية قال :

وصف القسطنطينية

قال وبلد قسطنطينية على ما ذكره هارون بن يحيى اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً وفرسخهم ميل ونصف وعليه باب من ذهب غرباً (١ (كذا) يسمّى باب الذهب يأخذ الى الرومية وفيه قصر الملك وعلى القصر سور واحد يحيط بجميع القصر يبلغ ذروة فرسخ وله ثلثمائة باب من حديد . وفيها كنيسة الملك قبتها من ذهب ولها عشرة ابواب اربعة من ذهب وستة من فضة وفي المقصورة التي يقف عليها موضع مصلّاه اربعة اذرع في اربعة اذرع مرصّع باللؤلؤ والياقوت . ومسنده الذي يسند اليه مرصع ايضاً بالدرّ الفاخر والياقوت الفائق . والموضع الذي يصلّي عليه قسّ الملك ستة اشبار في ستة اشبار عود قماريّ وجميع حيطان الكنيسة مبنية بآجر معمول من الذهب والفضة وبين يديه اثنا عشر عموداً طول كل عمود اربعة اذرع على رأس كل عمود صورة لتمثال قائم آدمي او سائك او طاوس او فرس . وبالبعد من هذه القبة على مائتي خطوة صهريج قد ارسل فيه قناة تجري منها الماء الى تلك التماثيل فاذا كان يوم عيدهم ملأوا تلك الصهاريج وحياضها فحوض يملأ بالنبيذ وحوض يملأ بالعسل الابيض وقد طيّب بالقرنفل والسنبل وحوض يملأ بالماء والصهريج مغطى لا يتبيّن منه شيء فيخرج الشراب من افواه تلك الصور فيشرب الملك ومن خرج معه الى العيد . فاذا اراد الملك ان يخرج بسطوا له الرياحين في الطريق ويخرج من بين يديه عشرة آلاف شيخ عليهم ديباج احمر مسبلة شعورهم . ثم يجيء خلفهم عشرة آلاف شاب اولّ ما بقلت وجوههم عليهم ديباج اصفر ثم يجيء عشرة آلاف غلام عليهم ديباج اخضر . ثم يجيء عشرة آلاف خدم عليهم ديباج لون السماء وفي ايديهم طبرزينات منقشة بالذهب . ثم يجيء عشرة آلاف خصي اوساط وعليهم ملحم خراسانيّ ابيض بايديهم صلبان الذهب ثم يجيء مائة بطريق عليهم ثياب ديباج ملوّنة بايديهم مجامر الذهب يبخّرون بالعود . ثم يجيء مائة غلام عليهم ثياب مشهّرة مرصّعة باللؤلؤ يحملون تابوتاً من ذهب فيه كسوة الملك لصلاته . ثم يجيء شيخ بيده طست وابريق من ذهب مرصّعان بالدرّ والياقوت . ثم يجيء الملك وعليه ثياب الاكسون وهي ابريسم منسوجة بالجوهر وعلى رأسه تاج وعليه خفّان احد الخفّين اسود والآخر احمر . وخلفهُ الوزير كلما مشى خطوتين يقول له الوزير : اذكر الموت والبلى .

١) لم اجد هذه الكلمة في كتب اللغة التي عندي والمراجع

فيسير كذلك حتى ينتهي الى باب الكنيسة فيقدّم الرجل الطست والابريق فيغسل الملك يده ويقول لوزيره: اني بريء من دماء الناس كلهم لا يسألني الله عن دمائهم وقد جعلتها في عنقك. ويخلع الثياب التي عليه على وزيره ويأخذ دواة بلاطس وهي دواة الرجل الذي تبرأ من دم المسيح عليه الصلاة والسلام ويجعلها في رقبة الوزير ويقول له: دِن بالحق كما دان بلاطس الحق. ويساق خلفهُ ثلاث جنائب عليها سروج محلاة بالدرّ الياقوت وجلالي ديباج منسوج بحل ذلك لا يُركب عليه فيُدخلها الكنيسة وفيها لجام معلّق يقولون انه متى اخذت الدابّة اللجام فتحنا بلاد الاسلام. فتجيء الدابة فتشمّ اللجام فتنفر وترجع الى وراء ولا تتقدّم الى اللجام ويقال ان هذه الدابة من نسل دابة كانت لاسطلياس (١). ثم ينصرف الملك الى قصره. وعرى (كذا) الكنيسة على عشر خطا عمود طوله ثلثمائة ذراع وعرضهُ عشرة اذرع في اربعة اذرع فوقها قبر معمول من رخام فيه اسطلياس الملك الذي كان في هذه الكنيسة. وفوق القبر تمثال فرس من صفر وفوق الفرس صنم على صورة اسطلياس وعلى رأسه تاج من ذهب مرصّع بالياقوت والدرّ وذُكر انهُ تاج هذا الملك ويده اليمنى قائمة كأنهُ يدعو الناس الى مدينة قسطنطينية. وعلى الباب الشرقيّ اثنا عشر باباً صفاراً كل باب شبر في شبر قد اتخذت تلك الابواب على ساعات الليل وهذه الابواب تنفتح من ذات نفسها وتنغلق من ذات انفسها كلما مرّ ساعة من الليل انغلق باب. وذُكر ان هذه الابواب من عمل بليناس صاحب الطلسمات. وعلى باب القصر ثلاثة تماثيل من صفر على هيئة الفرس عملهُ بليناس طلسمات للدواب لئلا تصهل ولا تشغب بعضها ببعض. وقسطنطينية مشرفة على خليج يخرج من بحر لازنة وناحية المشرق منها بحر الشام وناحية المغرب مفازة اذا خرجت من باب الذهب يأخذ بك الطريق الى بلغار وطريق يسير الى الرومية تمرّ في مفازة اثني عشر يوماً الى سلوقية ثم يسير ثلاث مراحل الى مدينة بروقيّة ثم يسير شهرين الى بلد بلاطس ثم يسير خمسين يوماً الى الرومية وصلاة من بالقسطنطينية من المسلمين نحو الزرياب وعليه سور ليس بالطويل تشتد به امواج بحر الشام وهو سور واحد الّا من ناحية باب الذهب فان عليه سورين اه

وقال عن لسان خالد بن صفوان يصف مدينة البصرة لهشام بن عبد الملك:

وصف البصرة

اصلح الله امير المؤمنين أصف لك بلادنا انتبهنا بلادك هذه فتنظر أيها افضل واحسن. قال: هيهات لله درّك يا ابن الاهتم. قال: نعم يا امير المؤمنين نغدو قانصاً فيروح هذا بالشبّوط والشبّوق وهذا بالظبي والظليم ونحن أكثر الناس ساجاً وعاجاً وخزّاً وديباجاً وخريدة مغناجاً ودابةً مهلاجاً. بيوتنا ذهب. ونهرنا عجب. ونخلنا خشب. اعلاه الرُّطب. وادناه القصب. واوسطهُ الرُّطبُ. والنخل ني مأركه كالزيتون عندكم في منابته وهذا في زمانه كذاك في ابّانه. وهذا على افنانه كذاك في اغصانه. الراسخات في الوحل المتفتحات بالنحل المطعمات في المحل. يخرجن اسقاطاً. اعطاماً واوساطاً كانما كُسيت رباطاً. ثم تتفرّع عن قضبان

١) لا نعرف من هو اسطلياس هذا لعلّهُ يريد يستنيانوس باني كنيسة آجيا صوفيا

كاللجين منظومة كاللؤلؤ الابيض ثم تصير زمردًا اخضر ثم تصير يواقيت احمر واصفر ثم تصير حلًا معلقة في الهواء لا قرب ولا اناء. فوقها للذباب ودونها المراب لا يصيبها التراب ولا يقربها الذباب. ثم تصير اسرالًا في آكية الرجال يسمى بها في المال وينفق على العيال. واما ثمرة العجب يا امير المؤمنين فان الماء يُقبل في ايام حاجتنا ونحن نيام على فرشنا لا نتنافس فيه من قلة ولا نصير منه على ذلة فيجري عبًا فيطلع طبقًا فيفيض مندفقًا حتى يُغسّل قتبها ويروّى متنها ويبدو حسنها. واما بيوتنا الذهب فان لنا خراجًا في السنين والشهور نأخذه في اوقاته وننفقه في مرضاته ويسّلمنا الله من آفاته. قال: لله درّك يا ابن الاهتم أنّى لكم هذا لم تُنلبرا فيها ولم تُسبقوا اليها. قال: ورثناها من الآباء ونورثها الابناء ويسّلمنا الله ربّ السماء وانا مثلنا كما قال ادريس في شعره:

اذا ما بحرُ خندفَ جاش يوماً تغطمطَ موجهُ المترطّبا
فها كان من خير فانّا ورثناه اوائل اوّلينا
وانّا مورثون كما ورثنا عن الآباء ان متنا بنينا

١٦ ﴿ تاريخ خط ﴾ جميل قديم قطع كامل نحو مائة وثمانين ورقة مخروم من اوله ومؤلفهُ مجهول وقد قابلت هذا الكتاب على عدة كتب تاريخيّة فلم اجد انه واحد منها وظاهر منه انه بخط مؤلفهُ بدليل الضرب على بعض اسطر منه وكتابة بدلها بالخط نفسه وإلصاق بعض اوراق على ما كان كُتب والكتابة عليها غير ما كان وترك بعض من الصفحات او فسحة من الصفيحة بياضاً مما يؤكد ان الكتاب هو مسودّة المؤلف نفسه. كانت هذه النسخة للملك الظاهر بيبرس بن ايبك فانه كتب عليها بخطه ما يأتي: « طالع فيه العبد الفقير بيبرس بن ايبك الصالحي ». وقبل هذه الكتابة وبعدها الفاظ تعسر قراءتها بسبب قدمها واصابة الورقة شيء من العفن

اما لغة الكتاب فحسنة متينة واسلوب التعبير فيه رشيق وهو يبتدئ من قبل سنة ٦٢٨ هجرية وينتهي الى سنة ٦٦٨ (١٢٣١—١٢٦٩ م) ومما جاء فيه:

خلافة المستعصم بالله

هو ابو احمد عبدالله الخليفة المستعصم بالله لما توفي والده المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة استدعاه شرف الدين اقبال الشرابي من مسكنه بالتاج سرًّا من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره فحضر ومعهُ خادمهُ مرشد الهندي فسلّم عليه الشرابي بالخلافة واجلسهُ على سدة الخلافة بعد ان شاهد والده مُسجّى وكتم موته فلم يعلم به الا بعض الخدم. فلما

حضر استاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي مؤذناً بالاذان قبل صلاة الجمعة جرياً على العادة اسرّ اليه ذلك واستكتم ثم عُرّف الوزير نصير الدين بن الناقد ايضاً وكُتم الامر الى ليلة السبت حادي عشر الشهر ثم استدعى الوزير فدخل من باب الدار الامير علاء الدين الطبرسي الظاهري الدويدار (١ مقابل دار الوزارة فحضر في عشّة لعجزه عن المشي وأحضر استاذ الدار ايضاً فتلا بين يديه وكُتب عدة القاب فوقع تعيين الوزير باذن الخليفة على المستعصم بالله ثم أحضر عمّه ابو الفتوح حبيب فبايعه واحضر بعده عشرة من اولاد الخلفاء فبايعوه ثم بايعه الوزير واستاذ الدار ثم بايعه اخوانه وهم ابو المظفر الحسن ويعرف بالتركي وابو القاسم علي ويعرف بالسبتي وابو الفضل سليمان ويعرف بالحاج وابو هاشم يوسف وولدا عم ابيه وهما المؤيد عبدالله الحسين والموفق ابو علي يحيى ولدا ابي الحسن علي ابن الخليفة الناصر لدين الله. ثم تقدم بتعيين الامراء لحراسة البلد وتقدم الى جميع الامراء من الشاميين والغرباء ان لا يركب احد منهم ولا يخرج من داره. فاصبح الناس يوم السبت فشاهدوا ابواب دار الخلافة مغلقة وهي باب النوبي والعامة والمراتب وقد أمر عبد اللطيف بن عبد الوهاب الواعظ ان يُشعر الناس بوفاة الخليفة المستنصر بالله وجلوس ولده المستعصم بالله بما صورته : « ايها الناس ان اماكم المستنصر بالله قد درج الى رحمة الله تعالى وقد بويع ولده سيدنا ومولانا الامام المستعصم بالله ابو احمد عبدالله امير المؤمنين أيد الله تعالى به الدين وجعل إيالته مباركة على جميع المسلمين ». ثم استُدعي الى دار الوزارة المدرسون ومشايخ الرُبط والولاة والزعماء واعيان الناس وفُتح باب العامة فدخل منه من استُدعي للدخول ومضوا الى بستان التاج وعليهم ثياب العزاء فبايعوه على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم وكان جلوسه في شُبّاك القبة وعليه البردة والطرحة والقضيب بيده وقد نُصب تحت الشباك كرسي ذو درج يرقى الناس عليه للمبايعة. وكان الوزير جالساً على ارفع درجة لعجزه عن القيام واستاذ الدار قائم دونه برقاة يأخذ البيعة على الناس ويلقّنهم لفظ المبايعة (٢. ثم أُسبلت الستارة وانفصل الناس وكانت الحال ساكنة والناس على اشغالهم ثم جلس في اليوم الثاني فدخل الامراء كافة والمماليك وبايعوه. وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة حضرها من تخلّف من الامراء والغرباء وضروب الناس كالتجار الغرباء وغيرهم ثم أُوقفوا صفوفاً بين يدي الشباك وبين ايديهم الفارضان تاج الدين الحسن بن المختار

١) كثيراً ما ترد هذه الكلمة في التواريخ العربية وهي تركيبة مركبة من دويت وهي الدواة ودار وهي فارسية بمعنى صاحب اي صاحب الدواة والمراد كاتب الملك. ومثلها بيرقدار اي صاحب البيرق

٢) قال ابن الساعي : حضرتُ مبايعة الخليفة الظاهر (وهو الظاهر بامر الله ابو نصر محمد بن الناصر لدين الله بويع سنة ٦٢٢ للهجرة) فكان جالساً في شبّاك القبة بثياب بيض وعليه الطرحة وعلى كتفه بردة النبي صلعم والوزير قائم بين يديه على منبر واستاذ الدار دونه برقاة وهو يأخذ البيعة على الناس ولفظ المبايعة : « أبايع سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابا نصر محمد الظاهر بامر الله على كتاب الله وسنّة نبيه واجتهاد امير المؤمنين وان لا خليفة سواه اهـ »

العلوي وفخر الدين احمد بن الدامغاني وسقدّما البدريّة داود وحسين ووقف ارباب الدولة عن يمين المنبر ويساره. فلما رُفعت الستارة قبّل الجميع الارض. وفي هذا المجلس أحضر قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل عبد الرحمان بن اللمغاني ونقيب العباسيين العدل بهاء الدين ابو طالب الحسين بن المهتدي بالله ومدرّس النظامية العدل نجم الدين ابو محمد عبدالله البادرائي واقرّ الجميع على اشتالهم ثانيهم بذلك ثم اشهدهم على نفسه انه قد وكل وزيره نصير الدين ابا الازهر احمد بن الناقد ثم أحضر المحتسب جمال الدين ابا الفرج عبد الرحمان بن الجوزي وأمر ان يقرأ بارفع صوته قوله تعالى: «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدُ الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرًا عظيماً».

ومنه ما روى في تاريخ سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) عن خرافة امّ عنقود قال:

حدث بأكثر اهل بغداد امراض في حلوقهم وخوانيق ومات بذلك خلق كثير وذكرت امرأة انها رأت في المنام امرأةً من الجنّ تكنّى امّ عنقود قالت لها: «ان ابني مات في هذه البئر (واشارت الى بئر داخل باب سوق السلطان) ولم يعزّني فيه احد فلهذا اختنقكم». فشاع ذلك في الناس فقصد البئر المذكور جماعة من العوامّ والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمةً واقاموا هناك العزاء وكان النساء ينحن ويقلن:

أيْ امّ عنقود اعذرينا	مات عنقودٌ وما درينا
لَمْ درينا كُنّا قد جينا	لا تحردين منا فتخنقينا

وما يناسب ذلك من الهذيان واكثرن من هذا وامثاله والقى الناس فيها الثياب والحليّ والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وانواع الحلواء واشعلوا عندها الشموع فلما اكثروا من ذلك عابه العقلاء والاكابر وانكروه. فامر الخليفة بمنع الناس من ذلك فحضر الشحنة الى هناك وقال: ان الديوان قد اقام امّ عنقود من العزاء وامر بسدّ البئر. فتفرّق الناس عنها

وفي آخر الكتاب نبذة قال المؤلف انه نقلها من كتاب مناقب بغداد الذي الفه الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن الجوزي وهي ١٤ ورقة يذكر فيها تاريخ بناء بغداد وسبب تسميتها بهذا الاسم واسواقها وجوامعها وحماماتها وجسورها وقصورها وتجاراتها وعدد سكانها وعدد اصحاب الحرف فيها على عهد المنصور والرشيد والمأمون وغير ذلك

ومما ذكرهُ ان « عدد الحمّامات فيها كان ستين الفاً واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر حمّامي وقيّم وزبّال وسقّاء. ووقّاد يكون ذلك ثلاثمائة الف. وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد واقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الفَ الفٍ وخمسمائة الف وانها عُدّت في ايام المقتدر فكانت سبعة وعشرين الف حمّام

وفي ايام عليّ بن بويه بضعة عشر الفاً وفي زمن عضد الدولة خمسة الاف وفي سنة ٤٢٠ للهجرة ثمانية وسبعين » اهـ

١٧ ﴿ كتاب الفلاحة الرومية ﴾ وضعُ الحكيم قسطوس بن اسكوراسكينه (كذا) ترجمهُ سرجيس بن هليا الرومي من اللسان الرومي الى العربي تاريخ نساخته سنة ٦٦٤ هـ (١٢٩٥ م) وهو ١٧٩ ورقة قطع نصف بخط جميل متقن مضبوط بالشكل الكامل يحتوي على ١٢ جزءًا وكل جزء مقسم الى ابواب يذكر فيه ما يتعلق بزراعة الحبوب والاشجار وتلقيحها وتربية الحيوانات واستنباط الماء وكيفية عمل الخمر بانواعهِ ومنه الخمر الابيض وعمل الخمر لساعته وكيفية عصر الزيت وصيد الحيوانات الضارية ومنها السباع وصيد الطيور الكاسرة ومعالجة الخمر والزيت اذا اعتراهما فساد وكيف يعمل للخمر حتى القليل منه يكفي الجماعة من غير بشع يجدونه في طعمه وكيفية شحذ الادوات القاطعة وسقيها وكيفية عمل المداد وغير ذلك

(المشرق) هذا الكتاب قد طُبع سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٧ م) وهو يدعى قبل الفهرس بكتاب الزراعة وفي عنوان الكتاب « كتاب الفلاحة اليونانيّة تأليف الفيلسوف الماهر قسطا بن لوقا الرومي ترجمة سرجيس بن هليا الرومي » وفي اوّل المقدّمة : « هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة ». ويدعى قسطوس (ص ١١) ابن اسكورنا شكينه (Cfr Wenrich: *De auctorum græcorum versionibus*, p. 291)

١٨ ﴿ مجموع كبير ﴾ قطع نصف بخط حسن يبلغ ٤٥٠ ورقة تاريخ نساخته سنة ١١١٧ (١٧٠٥ م) يحتوي على مقاطيع وقصص ونكات شتى وتاريخ وغير ذلك من مواعظ وحكم وامثال ونوادر ومما جاء فيه قصيدة للشاب الفاضل الشيخ احمد البقاعي (من البقاع) يمدح بها المولى الهمام العلّامة محمد افندي العمادي اولها :

صبٌّ تذكّر عهد لُبنى فصبى واجرى الدمع مزنا

ومن مديحه فيها :

نجل السادة ومن غدا ناديه للقصّاد مغنى
من آل من سادوا الورى جدًّا وآباءً وأبنا

وفيه عدة قصائد وابيات وفصول لبعض شعراء ذلك العصر فمنهُ تاريخ للعلّامة محمد امين بن فضل الله المحبي لقصر بناه الشيخ مراد محمد اغا يحيي جاويش :

قصر بناه الفاضل الندبُ لا زالت الايام اعيادهُ

هذا البناء مباركٌ أرّخْ قصرٌ مرادُ الله قد شادَهْ

ومن ذلك نظم لرياض افندي قاضي دمشق كان في تاريخ سنة ١٠٣٥ (١٦٢٥م
وكان اطرش واعرج منهُ بيت في التركية تعريبه :

ان عيّروني بأني امرجٌ وبلا رجلٍ فني كل فنٍ لي يدٌ طول

وله غير ذلك مما لم نذكره حبًا بالاختصار (له بقيَّة)

رسول الاتحاد بين الكنيستين

لحضرة الاب ا . دوغو اليسوعي

انَّ كنيسة المسيح واحدة فقط وتلك الاولى من سماتها التي يعترف بها كلّ من يتلو دستور الايمان فيقول « اعترف بكنيسة واحدة » ألاانّ الاهواء البشريَّة شوَّهت نوعاً تلك الوحدة بانفصال قسم كبير من الشرق عن مركز الرئاسة فجرى الاصطلاح على المقابلة بين الكنيسة الامّ التي زمامها في يدي الحبر الروماني خليفة بطرس الهامة والكنائس المنفصلة المدعوَّة بالكنيسة الشرقيَّة وعلى الاخصّ بالكنيسة اليونانيَّة . فنحن مراعاةً لهذا الاصلاح الوضعيّ نتكلّم في هذه المقالة عن الكنيستين اي الرومانيَّة واليونانيَّة

وغنيّ عن القول انَّ اتحاد هاتين الكنيستين كان الشغل الشاغل لكلّ من يهمّهُ خير الوحدة ويأبى شرور الانقسام ويردّ تنهّد قول السيّد المسيح في صلاتهِ قبل آلامه (١٧ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٣) : « أيها الآب القدّوس احفظ باسمك الذين اعطيتَهم لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحد . . . ولستُ اسأل من اجل هؤلاء فقط بل من اجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم ليكونوا بأجمعهم واحدًا كما نحن واحد انا فيهم وانتَ فيَّ ليكونوا مكمَّلين في الوحدة »

فمن يا تُرى من النصارى المحبّين للمسيح المتعالين على الاغراض الشخصيَّة مجد الههم يستطيع ان يصمّ آذانهُ عن هذه الدعوة ولا يُبهج قلب ربّهِ فيحظيهِ باقصى اشواقهِ ان يرى الوحدة بين الملّتين الى شخصهِ الكريم

والحقّ يقال انّهُ وجد في كلّ عصر بين الشرقيين والغربيين رجال افاضل ترفّعوا عن اوهامهم وأماطوا عن عيونهم قناع الدعاوي الباطلة فسعوا بجمع القلوب ولم يخافوا الخوض في غمر البحث بنزاهة واخلاص لازالة سوء المفهوميّة واثبات الحقائق المختلف في اعتقادها

لكنْ بين اولئك الاماثل الذين استحقّوا شكر النفوس التقيّة والعقول النيّرة المستقيمة لا نظنّ انّهُ وجد في الشرق رجلٌ اعظم واوسع فضلاً واسمى عقلاً واصدق قولاً وفعلاً من مطروبوليت مدينة نيقية وكردينال الكنيسة الرومانية بساريون الشرقيّ اليونانيّ الذي ضاء في سماء عصره كنجم متلالئ ألفتَ اليهِ انظار كلّ مشاهير زمانهِ فكان في وسطهم كنقطة دائرتهم وقطب افكارهم

والحقّ يقال انّ بساريون جمع في شخصهِ من المفاخر ما يكفي لتخليد كثيرين من الرجال فانّهُ كان كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً ولاهوتيّاً هماماً وسياسيّاً محنّكاً واماماً في النهضة الادبيّة التي جرت على عهدهِ في اوروبّة وكلّ هذه الصفات لمّا يُقتضى لتفصيلها كتب واسعة كما فعل ارباب التاريخ الذين درسوا حياة هذا الرجل العظيم فكتبوا عنهُ الفصول المستفيضة بل ترجموا حياتهُ بمصنّفات مستقلّة لا يطالعها الباحث الّا يقرُّ بتقدّم المترجم على اهل عصرهِ . ولذلك ترى كلّ المولعين بتاريخ القرن الخامس عشر يتهافتون على اخبار بساريون فيذكرون اعمالهُ ويطرئون مآثرهُ وينقلون ادقّ اقوالهِ ويبيّنون ما كان لهُ من الفضل على رجال عصرهِ ومن التأثير في خدمة الدين ويعظّمون شهامتهُ بين العقبات العديدة التي عارضتهُ في مسيرهِ

وعليهِ لم نقصد في هذه المقالة ان نستوفي وصف اعمال بساريون وانّما عوّلنا على ذكر مآثرهِ في اثناء المخابرات التي دارت بين الكنيستين في عهد يوحنّا الثاني واخيهِ قسطنطين الثاني عشر آخري سلاطين الروم فاستحقّ ان يُدعى برسول الاتحاد بين الكنيستين

قال اوغست كونت الفيلسوف الوضعيّ : « ندعو حياةً شريفةً عظيمة اذا عقد صاحبها في شبابهِ النيّة على فكر سامٍ . ثمّ خصّ كهولتهُ بتحقيق ذاك الفكر »

لعمري انّ هذا القول هو خلاصة حياة بساريون الكهنوتيّة والاسقفيّة مدّة

الست السنوات التي دامت فيها المفاوضات والاجتماعات بين رومية والقسطنطينية لتوطيد عرى الاتحاد وذلك من السنة ١٤٣٣ الى آخر جلسات المجمع الفلورنتيني في ٦ تموز سنة ١٤٣٩ فانهُ كان كنفس تلك المجتمعات واعظم ساعٍ في نجاحها

كان مولد بساريون على الرأي الاصحّ في اوائل سنة ١٤٠٣ في مدينة طرابزون حاضرة الارمن من ابوين رقيقي الحال كانا يرتزقان بشغلهما فنصرا ابنهما ودعواهُ يوحنا واذ رأيا نجابة ولدهما جعلاهُ في خدمة اسقف البلد فتعلّم عندهُ مبادئ العلوم ثم أُرسل الى احدى مدن اليونان ليواصل فيها دروسهُ ولعلّهُ كان ناوياً ان يخدم الكنيسة بصفة كاهن عالميّ ولكنّهُ وجد في العيشة الرهبانيّة ما يقرّب اليهِ عبادة الله والتعمّق في العلوم فلبس الاسكيم الرهبانيّ ودعي بساريون ثمَّ انقطع الى درس العلوم فبرع فيها ثمَّ قدم القسطنطينيّة ودرس على اساتذتها فاشتهر بالبلاغة ولمّا توفي سنة ١٤٢٥ ملك الروم مانويل باليولوغ انتدبهُ ارباب الدولة الى تأبين الملك وكفى بذلك دليلاً على ما كان اصاب لدى الخاصّ والعام من السمعة الطيّبة

ولمّا خلف يوحنا الثاني اباهُ مانويل في الملك قرّب بساريون ووكل اليهِ بعض المهامّ فوجدهُ حكيماً نزيهاً متفانياً في خدمتهِ جملةً رتبهُ على احد الاديرة الكبيرة. وكان بساريون مع ترقّيهِ في المناصب ملازماً للسذاجة الرهبانيّة متحلياً بجميل التواضع الانجيليّ فكان المجد يتبعهُ وهو لا يطلب المجد وقد اقرّ بذلك كتبة الروم حتى الذين لم يوافقوهُ في آرائهِ كالمؤرخ سيدوبولوس والكاتبين فرانتزس وبيريوف فانهم كلهم لسان واحد في وصفهِ كرجلٍ متجرّدٍ عن حبّ الرئاسة والطمع في الشرف

وعاش بساريون مدّةً في جزر اليونان حيث كان الشعب ممتزجاً من عنصرين مختلفين العنصر اليونانيّ الوطنيّ والعنصر اللاتيني من بقايا ممالك الفرنج الصليبيين الذين استولوا مدّةً على تلك الجهات فحصل من امتزاج العنصرين بعض التقرّب في العادات والتحبّب بين الشرق والغرب فزال التنافر . وكان الرئيس بساريون يتردّد على الجميع فكسب ثقتهم واعتنى بشؤونهم الروحيّة وتربية صغارهم . وممّا يُعرب عن همّتهِ انهُ درس في ذلك الوقت اللغة اللاتينيّة ثمَّ اتقنها بعد ذلك في فلورنسة وصار يتكلّم بسهولة فساعدهُ الامر على مطالعة كتب الآباء اللاتينيين

وفي تلك الاثناء ايضاً صاحب بسّاريون قوماً من أدباء اليونان واخذ عنهم بعض العلوم كالرياضيّات والهيئة وراجع كتب قدماء اليونان كافلاطون وارسطو واحكم فلسفتهما وصنّف عدّة تآليف استحسنها علماء زمانهِ

فزادت شهرة بسّاريون في عاصمة المملكة ورأى الملك يوحنا ان يتّخذهُ كسفير الى ملك طرابزون وطنهِ ليعقد معاهدة بين الدولتين لردّ غارات الترك. فقام بسّاريون بهذهِ المهنة وفاز برغوبهِ وعُقدت المحالفة المقصودة واستحقّ شكر الملكَين فاراد يوحنا ان يثيبهُ على تلك الخدم المشكورة فنيَّتهُ لكرسي نيقية المطربوليتي فتولّى تدبيرهُ وليس لهُ من العمر اكثر من ٣٢ سنة

لكنّ تلك الامتيازات لم تكن لتشغل فكر بسّاريون عن خدمة النفوس بل اوقدت قلبهُ غيرةً ازدادت على مقتضى المقام الرفيع الذي دُعي اليهِ

وكان الله قد اعدّ بسّاريون لمهنة اعظم وصنيعة اعم نفعاً اراد ان يجزل خيرها على وطنهِ نعني بذلك توحيد كلمة نصارى الشرق والغرب لمناهضة الاتراك الذين كانوا يطمحون ببصرهم الى القسطنطينيّة لا يهدأ لهم خاطر حتى يطأوها بارجلهم ويجعلوا فيها مقرّ مملكتهم

لكنّ ملوك الروم قد عرفوا ما يتهدّد عاصمتهم فكانوا لا يألون جهداً في استدراك هذا الخطر وتعزيز قواهم في وجه العدوّ . ولكن أنّى يقوون على ذلك والاتراك يتقدّمون كلّ يوم الى الامام فصاروا يضايقون القسطنطينيّة برّاً وبحراً وهم لا ينتظرون الّا فرصةً مناسبة لضرب المدينة. فكان قياصرة الروم حيثما يوجّهون الابصار لا يرون خلاصاً الّا بعقد عهدة مع الغربيين الّا انّ الغربيين لا يحرّكون ساكناً ما لم يندبهم الحبر الرومانيّ الى معاضدة اخوانهم الشرقيين. وهذا ما لا يُرجى عملهُ ما دام الشرقيّون مصرّين على خلافهم للكنيسة الرومانيّة شاقّين لها عصا الطاعة

فلذلك هذه العقدة لم يجد ملوك الروم سوى واسطة واحدة ان يعرضوا على الحبر الاعظم عقد مجمع مسكونيّ يتفاوض فيهِ اللاتينيّون والروم في معتقداتهم حتى اذا اتّفقوا في التعليم وتوحّد الايمان حصلت ايضاً وحدة القلوب فينهض الحبر الاعظم همم ملوك الغرب ليمدّوا الى اخوتهم الشرقيين يد المعونة بحشد الجيوش والدفاع عن الصليب

على ان كثيرين من اولئك الملوك كانوا يرون في هذا الاتفاق صعوبة لعلمهم بأنَّ ثمَّة من رعاياهم بعد انفصال فوطيوس عن كنيسة رومية ولا سيما خالفه ميخائيل كيرولاريوس لم يرضوا بتقديم الطاعة لرئيس الكنيسة ونائب السيِّد المسيح على الارض. وكان نفورهم هذا قد زاد تفاقماً منذ اقتحم ملوك اللاتين على القسطنطينيَّة فلكوها نحو ستين سنة (١٢٠٤ — ١٢٦١) فلم تعد قلوب الروم تصفو لهم. وكان الاحبار الرومانيُّون لم يزالوا يبذلون الوسع في ازالة ذات البين فعقدوا لذلك الغاية عدَّة مجامع لاسيَّما مجمع ليون سنة ١٢٧٤ لحضر نوَّاب الروم ذاك المجمع وصادقوا على دستور الايمان لكنَّهم كانوا يرون في تأخير ملوك الفرنج عن إمدادهم سبباً كافياً لنكث مواعيدهم كما انَّ الفرنج ما كانوا ليثقوا بوعود الروم الى الكنيسة الرومانيَّة. ولنا في مانويل والد يوحنَّا الثاني ما يشهد على عدم استقامته فانَّه في الوصيَّة التي اوصى بها ابنهُ قبل وفاته ما تعريبهُ: «اي بنيَّ لم يبق لنا وسيلة لتنجو بها من معرَّة بني عثمان وطلبهم الَّا ان نتهدَّدهم بانضمامنا الى ملوك الفرنج فاذا رأيتهم يستعدُّون الى حصار القسطنطينيَّة اعرض على الفرنج عقد مجمع وأرسل وفداً لذلك ولكن أسعَ في تأجيل المفاوضات قدر امكانك واجتهد طاقتك في معاودة ذاك المجمع لأنَّ إباء اللاتين وعناد الروم على طرفي نقيض لا يمكن الموافقة بينهما»

فيؤخذ من هذا انَّ الروم لم يجروا في عملهم بنيَّة صادقة وانَّما كانوا يريدون ترهيب الاتراك وترغيب الفرنج في مساعدتهم مجَّاناً على غير شروط

لكن نفس يوحنَّا الشريفة واستقامة نيَّته لم ترضيا بهذا الدهاء والتدليس. ومن ثمَّ لمَّا اراد يوحنَّا باليولوغ ان يستأنف المخابرات مع الفرنج في امر الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة نبذ كلَّ مواربة وعزم على السير بصدق وحزم وثبات. وكان يرى انَّ بلاده صارت على شفا هار وانَّها لا مناص لها الَّا ان يجمع كلمة نصارى الشرق والغرب

ومن ثمَّ اخذ يخطب ويكتب ويبيِّن لمواطنيه انَّ الخلاص بضمّ القوى مع الغربيين وانَّ احسن وسيلة لذلك الاتفاق الدينيّ وانَّ ما يستعظمهُ البعض من الاختلافات بين اللاتين والروم انَّما هو من قبيل التهاويل والاشباح المخيفة التي تبطل وتتبدَّد بالاجتماع لا سيَّما اذا كان الفريقان يجريان على خطة النزاهة وصدق العمل

وكان الحبر الاعظم الجالس وقتئذٍ على السدّة البطرسية اوجانيوس الرابع من اكبر رجال عصره فضلًا واوسعهم علماً اوقف نفسهُ منذ ضبط ازمّة التدبير لفكّ اغلال الكنيسة التي كان يناقضها في ذاك الوقت آباء مجمع بال (Bâle) الساعين بتغليب آرائهم الباطلة ليجعلوا البابويّة تحت حكم الشورى فاقدةً لاستقلالها الذي منحها ايّاهُ السيّد المسيح . فلم يشأ اوجانيوس ان يوضع لاحكامهم فامر بالغاء المجمع لكنّ اعضاءهُ ابوا الخضوع لامره واستبدّوا بمواصلة مجمعهم رغماً عن الحبر الاعظم الذي ضربهم بالحرم فاخذوا يوفدون الوفود الى الروم كي يكسبوهم الى حزبهم ويصرفوا نظرهم عن البابا الشرعي اوجانيوس الرابع

وكان الحبر الاعظم يلقى في الوقت عينهِ عثرةً في سبيله في مدينة رومية التي كان استولى عليها زعيمان فوضويان كانا يتنازعان فيها السيادة المدنية [illegible] كساحة قتال لا يمكن السكنى فيها فخرج البابا من عاصمته متوجّهاً الى فلورنسة

فبفضل بساريون عدلَ الروم عن مجمع بال العنيد وطلبوا من البابا ان يعيّن بلداً لعقد مجمع آخر قانونيّ يحضرهُ آباء الكنيستين . وكان بساريون منذ تعيينه لكرسي نيقية لا يفارق الملك فيعضدهُ بمشورته ويحسّن في عينهِ منافع الاتّحاد لينقذ وطنهُ من الاخطار المحدقة بهِ . ولتحقيق تلك الاماني كان بساريون في وقت الفراغ يدرس القضايا التي تفصل الكنيستين فيراجع تآليف آباء الكنيسة اليونانيّة ويقابلها مع تعاليم اللاتين فيتأكد انّ اللاتين مُحقّون لا يخالفون معتقد الكنيسة القديمة . ولا باس من كونهم في طقوسهم وآدابهم الكنسيّة لا يوافقون الروم فانّ هذه العادات عرَضيّة لا تمسّ جوهر الايمان

وعليهِ طفح قلب بساريون سروراً لمّا رأى انّ الملك يوحنّا رضي بدعوة البابا اوجانيوس الذي عيّن مدينة فرّارة من اعمال ايطالية لعقد المجمع فجهّزت اربع سفن فاخرة عُقد لواؤها لاحد ذوي قربى البابا الادنين فركبها القيصر يوحنا والبطريرك يوسف القسطنطينيّ ونوّاب بطاركة الشرق والسيّد ايسيدورس مطران كياف وجاثليق جميع كنائس روسيّة مع قوم من اعيان الروم واكابرهم يبلغ عددهم سبعمائة نفس وكان الحبر الاعظم تقبّل مصاريف سفرهم منذ خروجهم من القسطنطينيّة الى حين عودتهم اليها على نفقته الخاصّة

كان خروج الروم من ثغر القسطنطينيّة في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٤٣٧ فبلغوا البندقيّة في ٨ شباط سنة ١٤٣٨ بعد سفر عاينوا فيه اهوال البحر وايقنوا بالهلاك. فاستقبلهم البنادقة بما لا مزيد عليه من الاجلال والأبّهة وكان سفرهم من البندقيّة الى فرّارة اشبه بموكب المنتصرين. وكان احتفاء الحبر الاعظم بالوافدين افخم واجلّ. وقد فصّل كلّ ذلك حضرة الاب المرحوم دي كوبيه في كتابه كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم الذي عرّبهُ جناب خليل افندي البدوي. وفي ٩ من شهر نيسان عُقدت اوّل جلسة عموميّة حضرها الروم واللاتين واتّفقوا فيها على المواضيع التي تدور عليها الابحاث. ولئلّا يتّسع مجال المفاوضات دون جدوى اتّخذ الفريقان لجاناً خاصّة تتباحث في الامور ثم يعرض خلاصة ابحاثهم على آباء المجمع افرادٌ من الروم واللاتين فكان اوّل من وقع الاختيار عليه بين الروم بساريون

وقضى آباء المجمع بعد هذه الجلسة الاولى عدّة اشهر ليمدّوا موادّ الجدال في الاجتماعات الخصوصيّة وينتظروا الذين تأخّر حضورهم من بعض جهات الشرق فعُقدت الجلسة الثانية في ٨ تشرين الاوّل وكانت من افخم الاجتماعات حضرها الشرقيّون بكل رونق حللهم وبزّتهم وأوستهم وكان القيصر في مقدّمتهم على عرش جليل اهل بتمامه فافتُتحت الجلسة بخطاب نفيس ألقاهُ باليونانيّة بساريون اعرب فيهِ عن قلب غيور مفعم بالحبّ لكنيسة المسيح واطرأ رغبة الجميع بقطع دابر الشقاق الذي يفصل الكنيستين ويزّق رداء المسيح المنسوج غير المخيط وهو الذي لم يبتغِ لكنيسته شيئاً اكثر من الوحدة فيكون رأسها واحداً ورعيّتها واحدة. وافاض في الكلام فذهب فيهِ كلّ مذهب حتى اضرم قلوب الحضور رغبةً في الوئام. ثمّ اخذوا يخوضون في ميدان الجدال على مقتضى ما شاءهُ الشرقيّون. فعُرضت القضايا الخمس التي لا يوافق فيها الروم الكنيسة اللاتينيّة اعني انبثاق الروح القدس من الآب والابن ثم مسألة الفطير في التقديس ثمّ المطهر ثمّ حظوى القديسين بمشاهدة الله عياناً قبل الدينونة العامّة واخيراً قضيّة الرئاسة البطرسيّة على الكنيسة

ثمّ توالت الجلسات حتى بلغ عددها الاربع عشرة. فكان الآباء اليونان يعرضون قضاياهم ويؤيّدونها باقاويل معلّميهم او يسمون باثباتها من الكتب المقدّسة لكنّ اللاتين كانوا لا يدعون مشكلاً الّا يحلّونهُ ولا عقبةً الّا يذلّلونها كما

يُرى من تفاصيل تلك الجلسات المحرّرة في اعمال المجمع الذي يُنتسب اصلهُ اليوناني الى بسّاريون وهو الذي عُرّب ومن تعريبهِ عدَّة نسخٍ في بلاد الشام منها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقية يمكن الوقوف عليها

وامتاز في هذا المجمع بين اليونان رجلان اصبحا بعد زمان قليل كزعيمي حزبين متناقضين نريد بهما بسّاريون ومرقس الافسسي فانَّ بسّاريون بصدق لهجتهِ وتواضعهِ واستقامتهِ في الجدال وكثرة مطالعتهِ لاعمال الآباء كان اذا رأى الحقَّ لا يكابره بل يجاهر بالاذعان له لئلا يقاوم الروح القدس. وكان مرقس الافسسي على خلاف ذلك جمع حولهُ كلَّ من يعادي اللاتين ويأبى الانقياد اليهم فكان كلَّ يوم يسعى بمرقة الجدال ويعود الى المشاكل التي حُلَّت مُقدَّما ولا يرضى بما يأتيهِ الآباء اللاتين من الادلَّة القاطعة

فكان بسبب مرقس الافسسي يطول الجدال دون الفائدة المرغوبة . وكانت نيَّتهُ في ذلك وغاية حزبهِ معهُ ان يملَّ الجميع من هذه المجادلات فتُهمل المسألة الدينيَّة ويُعدَل عنها الى المسألة السياسيَّة

غير ان بسّاريون ادرك مقصود مرقس ولذلك كان اذا رآهُ حاد عن خطَّة الجدال ردَّهُ اليها واذا عاد الى ما فنَّدهُ اللاتين ذكَّرهُ بأن لا طائل تحت التكرار . وكان اذا شعر بتداخل السياسة البشريَّة في المفاوضات نبذها لئلا يتصرف نظر الآباء الى الشؤون الزمنيَّة

وفي تلك الاثناء فشا الطاعون في فرارة وذهب بحياة بعض المجتمعين فافرغ اصحاب مرقس الافسسي كنانة الجهد ليفرطوا سلك المجمع لكنَّ بسّاريون رأى في ارفضاضهِ بطلان كلِّ المساعي السابقة وشدَّد على مواصلة اعمالهِ فعرض وقتئذٍ البابا اوجانيوس نَقْل المجمع الى مدينة فلورنسة فرضي القيصر وانتقلوا اليها وفيها عقدت الجلسة الخامسة عشرة في ٢ آذار سنة ١٤٣٨ وتبعتها خمس جلسات أُخَر اتَّضح فيها الحقّ تماماً لا سيما بخصوص قضيَّة انبثاق الروح القدس بعد ان راجعوا النظر في مخطوطات الآباء القديمة واثبتوا نصوص القديسين باسيليوس ومكسيموس فجنح كثير من الشرقيين الى الاتحاد وظهر خُبث مرقس الافسسي في عدَّة تحريفات كان لا يأنف من التوسُّل بها لغايتهِ الذميمة لكن بسّاريون كان بعينهِ اليقظى يرذل

تلاعبه وبثبت صحة النصوص القديمة بحيث لم يبقَ وجه لمكابرة الحقيقة، وصادق على اقواله ايسيدورس جائليق روسية وكثيرون من ائمة الروم فنفروا من اعمال مرقس، وراى القيصر نفسه في خطة الافسسي بجفاً في شرف الروم

فعقد وقتئذ البطريرك يوسف مع الاساقفة الشرقيين مؤتمراً حضره الملك واعلنوا رضاهم عن احتجاج الغربيين وكتبوا صورة ايمانهم منقولة عن اقاويل الآباء الشرقيين التي وافقهم عليها الغربيون

ثم عادوا الى عقد جلسات اخرى ألا ان مرقس واتباعهُ اذ رأوا انَّ القسم الاكبر من الشرقيين جعلوا يحالفون الغربيين صمَّموا العزم وهم افراد قليلون على مناقضتهم فقام مرقس وكان تارةً يصرخ انَّ الغربيين بزيادتهم على الدستور النيقوي قد خالفوا الآباء القديسين كأنَّ الكنيسة لا يجوز لها ان توضح ايمانها اذا انكر احدٌ بعض معتقداتها . وتارةً يكرّر انَّ اللاتين هراطقة لاعتقادهم انبثاق الروح القدس من الابن . فناصبهُ بساريون بكلّ حماسة واثبت لهُ انهُ بالجواب المرتبطة على الغربيين يوجها ايضاً على كثيرين من القديسين الشرقيين القائلين بقولهم . فلم يجد مرقس جواباً على معاوضته الّا ان يقول : "وما يدرينا ان كانت كتبهم لم تحرَّف" فافحمهُ بساريون بقولهِ : ليت شعري ومن يستطيع ان يقول ان ميامر ومواعظ برمّتها قد أُفسدت وان شروحاً مطولة على الاناجيل المقدسة والاسفار الالهية وتآليف لاهوتية متعددة قد تلاعبت بها ايدي المحرّفين دون ان يشعر بها احد او يحتج عليها . . . ولاسيما انَّ هؤلاء الآباء قد شرقوا كنيستنا الشرقية كالقديس مكسيموس الشهيد المصرّح بانبثاق الروح القدس من الابن فهذا لعمري غاية في الغرابة

فلما كان بعد هذا القول المسجدي اعتراض لمعترض وكفُّوا عن عقد جلسات جديدة اذ رأوا انهُ لم يبقَ شيءٌ جديد يأتي بهِ الشرقيون لتأييد اقوالهم ولكن واصل الشرقيون اجتماعاتهم الخصوصية مع السيّد البطريرك بحضور القيصر ليجدوا احسن وسيلة لتأييد الاتحاد فكان لبساريون في تلك المفاوضات السهم الانور يعضده ايسيدورس مطران كياف فكان في كلّ جلسة يخطب الخطب البليغة ويثبت بالحجج الدامغة تعاليم الغربيين استناداً الى كتب آباء الكنيسة الشرقية ويستحلف اخوته بان لا يكابروا الحقَّ ولا يدعوا تلك الفرصة الوحيدة لاستئصال زوان

الشقاق بعد ما اظهر البابا والآباء الغربيون من اللطف والمجاملة ومراعاة آداب البحث وحسن الدفاع عن معتقداتهم ما لا يمكن الزيادة عليه »

فكان لكلام بساريون احسن وقع في القلوب فصادق عليه معظم الآباء والقيصر نفسهُ الذي قام ايضاً خطيباً فيهم قائلاً : « لا ريب ان الانشقاق مرتعهُ وخيم لأنَّ شرَّ الخطايا واقظعها افتراق الكنائس ومن يمنع الاتحاد كان نصيبهُ اسوأ عاقبة من نصيب يهوذا الدافع الذي خان سيده » فهتف الاساقفة في اثر هذا الكلام: « كلُّ من لا يرضى بالاتحاد في الايمان المستقيم الرأي فليكن محروماً »

فبعد هذه الاعلانات الصريحة تداول علماء الشرقيين وكان بساريون في جملتهم مع الغربيين في بقيَّة الامور التي لم يتَّفقوا فيها اعني في مسألة المطهر وكلام الربِّ الذي به يتم تقديس الخبز والخمر ومسألة الطهر. فوجدوا انَّ تلك الامور حصل فيها سوءُ تفاهم بين الفريقين فاذ اوضح كلُّ فريق حقيقة معتقده زال الالتباس فقرَّروا انَّهُ يكفي ان تكون مادَّة التقديس خبز القمح فطيراً كان او خميراً حسب عادة كلِّ كنيسة . وكذا صورة التقديس فانَّ الشرقيين بيَّنوا انهم يعتقدون كاللاتين انَّ استحالة الاشكال تتمُّ بكلام الرب: «هذا هو جسدي هذا هو دمي» وانَّما يلتمسون من الروح القدس بان يقرّر نعمة جسد ودم المسيح على المؤمنين . ولم يشكل عليهم امر المطهر لأنَّ الكلَّ يقرّون بوجود مكان موقّت لرحض الخطايا العرضيَّة التي لم يقف عنها المؤمن عند وفاته او لأداء ما بقي عليه من الدَّين لعدل الله ولا بأس ان يدعى ذلك المكان مطهراً او باسم آخر

وكانت بقيت قضيَّة رئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة جمعاء. ليس شرفاً فقط بل فعلاً ايضاً . على انَّ بساريون الذي كان درس المعتقد درساً تماماً عرض على ذويه ان يعترفوا للبابا ذات الحقوق التي كانت لهُ قبل الافتراق ويقرّوا بانهُ نائب يسوع المسيح وخليفة القديس بطرس زعيم الرسل ورئيس كلِّ الكنيسة الاعظم . وهكذا حُلَّت بهمَّة بساريون كلُّ المشاكل التي كانت تعوق تقرير صكِّ الاتحاد

وفي ذات اليوم الذي تمَّت فيه هذه الموافقة بين الشرقيين والغربيين حدث امرٌ مهمٌّ جاء مثبتاً لها اثباتاً لا يحتج فيه شيء من الاغراض الزمنيَّة نريد بذلك وفاة البطريرك القسطنطيني يوسف الذي أصيب بنوبة من داء القلب لم تترك لهُ الّا بضع ساعات

ليستعدّ لمواجهة ربّهِ فكان اوّل ما فكّر فيهِ ان طلب قرطاساً وقلماً ليحرّر صورة ايمانهِ في تلك الساعة التي لا يرى الانسان للخداع سبيلاً فكتب وصيّةً على الصورة التي اوردتها مجلّة المشرق سنة ١٩٠٤ (٧ : ٣٣٤) عن نسخة قديمة التعريب وفيها يقول :

« رأيتُ ان أكتب وأضع خط يدي واضاني لجمهور اولادي واوضح رأيي علانيةً وهو انهُ كلّ ما ترضى بهِ الكنيسة الرومانيّة وتعتقده بيعة الله الكاثوليكيّة وهي رومية القديمة فانا ارضى واقبل واقدّم بذلك طاعة عني واقراري ان الحبر الاعظم السيد هو اب الآباء والرئيس الاعظم ونائب ربّنا يسوع المسيح وهو بابا رومية القديمة الضابط الايمان على كلّ المؤمنين. واعترف ايضاً بمطهر النفوس . . . (والوصيّة مؤرخة) » في ٩ حزيران سنة ١٤٣٩ الاذكثيون الثاني .

فكان لهذه الوفاة تأثير كبير في جميع آباء المجمع كما انَّ حفلة جنازة هذا البطريرك قلّما شوهد مثلها حفاوةً واجلالاً حضرها البابا وجميع الكرادلة

ولم يمرّ على هذا الواقع الخطير شهر بتمامهِ حتى اتّفق الشرقيّون على صورة صك الاتحاد النهائي وكان الفضل في ذلك ايضاً لبساريون الذي انشأها بدقّة عجيبة لم تبق ريباً ما لاحد ثمّ قدّموها للبابا موقعة باسمائهم باليونانيّة فترجمت الى اللاتينيّة . وعدد الذيلين لها بخطوطهم من الشرقيين ثلاثون اي كلّ الذين حضروا المجمع بصفة رسميّة الّا مرقس الافسسي الذي كان رُشق بالحرم لا محالة لولا انهُ استرحم القيصر وطلب منهُ ألّا تُفضح شيبتهُ امام اللاتين اذا رجع عن رأيهِ . كأنَّ اقرار المرء بخطاءه يشينهُ ولا يشرّفهُ . فأمهلهُ القيصر ريثما يعود الى القسطنطينيّة

واعلن الحبر الاعظم بذلك الصك في براءة بابويّة في اليوم السادس من تموز بحفلة عظيمة اجتمع فيها الاكليروسان اليوناني والغربيّ امتزجت فيها رُتب الكنيستين وألحان موسيقاهما على ابدع صورة . وفي ختام الذبيحة جلس البابا على منصّتهِ والقيصر على عرشهِ فقرئت البراءة في اليونانيّة ثم في اللاتينيّة وكان قارئها اليوناني بساريون الذي استحقّ ان يكون لهُ التقدّم اذ كان كما بيّنّا رسول الاتحاد مع انهُ السابع في ترتيب الموقّعين للبراءة بخطّهم فكان بعد الله رائد الوحدة ونصيرها ومنفذها فعلاً . فتم ذاك المجمع العامّ الذي لا مناص للشرقيين أن يعدّوهُ مجمعاً مسكونيّاً اعلن فيهِ الشرق والغرب بفم واحد وايمان واحد وروح واحد فان نبذوهُ لا بُدَّ لهم من

القول بان كنيسة المسيح المعصومة من الضلال ضلّت يوماً وقويت عليها ابواب الجحيم ما لم يقولوا ان مرقس الافسي وحده كان يمثّل الكنيسة جمعاء على خلاف تعليم الايمان. فهذا سيف ذو حدّين لا مناص منهُ

وبعد نهاية المجمع بثلثة اشهر ابحر الروم (في ٢٦ آب ١٤٣١) عائدين الى القسطنطينيّة مشيَّعين بكل اكرام وكان بساريون في جملتهم وهو مستعدّ ان يناضل عن الايمان بازاء كلّ مواطنيه شفاهاً وكتابةً (١. فاراد الحبر الاعظم ان يجازيهُ على اتعابهِ وفي ١٨ كانون الاوّل من تلك السنة رقّاهُ الى رتبة كرادلة الكنيسة الرومانيّة فعل ذلك من تلقاء ذاتهِ في غيبة بساريون اذ كان يعرف نفورهُ من الامتيازات الشرفيّة وئلّا يقال انّ بساريون بتفنيدهِ لاعمال المجمع كان يطلب غايةً بشريّة. فكان اوّل كردينال شرقيّ لبس الارجوان لكنّهُ شرّف بزّتهُ هذه اكثر من ان يتشرّف بها. فطرب كلّ محبي الاتحاد وشكروا البابا على عملهِ هذا. ورقّى البابا معهُ الى منصب الكرادلة ايسيدورس متروبوليت كياف وجاثليق روسيّة وكان هو ايضاً من اعظم المدافعين عن اتحاد الكنيستين

بقي بساريون في القسطنطينيّة سنةً كاملة وحاول ان يقنع مواطنيه بالانضمام الى الوحدة لكنّهُ وجد فيهم قوماً غلبت على قلوبهم الاوهام وختمت عليها الاهواء الباطلة فكان مرقس الافسي يصرخ بان الروم خانوا الايمان رغبةً في دنياهم وانّ الكنيسة اليونانيّة استعبدت لرومية العتيقة. فهاج القوم وماجوا واضطرّوا بعض الاساقفة الذين أمضوا صكّ الاتحاد ان يرجعوا عن رأيهم فبلغ الجنون ببعضهم الى ان صرخوا: «عمامة العريب ولا تاج احبار رومية». فكان بعد قليل ما كان وسقطت القسطنطينيّة في حوزة محمّد الفاتح رغماً عمّا بذل في نجاتها قسطنطين خلف يوحنّا الثاني والبندقيّون انصار الروم وغيرهم من الافرنج الذين اتوا لمساعدتهم ملبين دعوة البابا

امّا بساريون فلمّا رأى هيجان قومهِ ضدّ الاتحاد وتبيّن ان مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح عاد الى ايطالية حيث كان الحبر الاعظم استدعاهُ ليخدم الكنيسة في الرتبة

-----

١) هذا ما صرّح بهِ بساريون في احدى رسائلهِ على خلاف ما روى المؤرخ فرنتزس بقولهِ انّ بساريون بقي في ايطالية

الكردينالية . لكنَّهُ لم ينسَ وطنهُ وفي مدَّة نيّف وثلاثين سنةً قضاها في ايطالية الى وفاتهِ وقام في غضونها بمهامٍ جليلة كان فكرهُ متَّجهاً الى بلاد الروم ليرسل الى مساعدتهم كلَّ المَدَد والذخائر الحربيَّة. ولمَّا فُتحت القسطنطينيَّة جُرح قلبهُ بجرحٍ أليم فافاضَ الدموع السخينة عليها وكتب في ذلك خطاباً هو مدوَّن بين اعمالهِ يستنزف عبرات قارئهِ

واذ فُقد الوطن العزيز صرف همَّهُ الى النفوس فكان لا يزال يناشد مواطنيهِ الله ليعودوا الى حجر الكنيسة الرومانيَّة التي فيها وحدها يلقون ضماداً لجراحهم. ولدينا رسالة كتبها في ذلك هي معرَّبة في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (راجع المشرق سنة ١٩٠٤ ج ٧: ٣٣٥)

وهذه الرسالة قد كتبها بساريون نحو السنة ١٤٦٠ كمنشور بطريركي الى الروم وكان البابا بيوس الثاني اقامهُ خلفاً على كرسيّ القسطنطينيَّة للبطريرك القسطنطيني غريغوريوس المعروف ببروتوسنكلوس الشرقي. واصل هذه الرسالة اليوناني في اعمال آباء اليونان في مين (Migne, P. G., t.161 col. 447-480) وقد عرَّبها جناب خليل افندي البدوي في كتاب آخري سلاطين الروم (ص ١٨٠-١٣٩) يلوح من مطاويها روح تفاني بساريون في خدمة ابناء وطنهِ لا يشتهي لهم الّا السلام بعد بلاياهم المستحدثة ولكن لا سلام الّا للذي يذعن للحقّ ويطيع للسلطة القائمة من الله فعلى الروم ان يتلافوا المصائب السابقة وانقراض دولتهم معترفين بالقضايا التي قرَّرتها الكنيستان اليونانيَّة واللاتينيَّة. وقد بسط ذلك بسطاً واسعاً وايَّدهُ بالبراهين العقليَّة والنقليَّة

وخلاصة القول انَّ بساريون يُعدّ من اعظم رجال الشرق فضلاً واغزرهم علماً واشدّهم محبَّة لبني ملَّتهِ ولم يزل الى آخر انفاسهِ يبذل قصارى المجهود في استنهاض همَّة ملوك الغرب واستحثاث غيرتهم على اسعاف الروم حتى بعد فتح القسطنطينيَّة كما تشهد عليهِ كتاباتهُ وان حبط في ذلك مسعاهُ فما كان الّا لسوء احوال ذلك الزمان. فالواجب على الشرقيين ان ينظموهُ في سلك اعظم مشاهيرهم فينصبوا له تمثالاً في قلوبهم بقرب اقمار الكنيسة الشرقيَّة الثلثة يوحنَّا الذهبيّ الفم وباسيليوس وغريغوريوس اللاهوتيّ كما انَّهُ شرَّف الاقطار الغربيَّة فاستحقّ شكرها العميم

بشروعاتهِ المتعدّدة التي ضربنا عنها صفحاً في هذه المقالة وكفاهُ فخرًا انهُ زان رتبة الكرادلة الى سنة وفاتهِ ١٤٧٢ بل كاد مرّتين يفوز باكثريّة الاصوات ليجلس على سدّة الخلافة البطرسيَّة. وانما لهُ فخرٌ اعظم من كلّ ذلك لا تمحقه الايّام وهو كونهُ رسول الاتّحاد بين الكنيستين

البرهان الصريح
في اثبات أُلوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع

الفصل الثاني

الوهيَّة المسيح في عيشتهِ الخفيَّة

رأيتَ انَّ مولد السيّد المسيح مع ما رافقهُ من الذلّ والاتضاع الاختياري دلَّ دلالةً لامعةً على جلال لاهوتهِ. وليست حياتهُ الخاملة بعد ميلادهِ الى ساعة خروجهِ للدعوة بين اليهود دون غرّة حياتهِ بياناً على تلك الالوهيَّة اذا انتقدها الانسان بعين بصيرتهِ ونزَّه قلبهُ عن الاهواء الباطلة والاعتبارات الزمنيَّة الواهية

قد اعتاد البشر لضعف ادراكهم ان يقيسوا امور الله على قياس شؤونهم المحسوسة وشتّان بين اعماله تعالى واعمال المخلوقات ولذلك ترى حياة المسيح على خلاف ما يتخيّلهُ الانسان في كبار الرجال من الجاه والغنى والشرف العالمي والقوَّة المادّيَّة فانَّ هذه الاشياء انَّما تشرّف بشرًا امثالنا وهيهات ان تجدي شرفًا الهًا متأنسًا ظهر بين الناس لينهج لهم طريق السماء بممارسة الفضائل السامية. فلو كان السيّد المسيح نزل الى ارضنا بأُبَّهة الملوك وجلال السلاطين وبطش الفاتحين فايُّ فضل كان لهُ في فعلهِ وهو ربّ الارباب تذعن لامرهِ السماوات والارضون فانهُ لو فعل ذلك لكان زاد الانسان طمعاً في حطام الدنيا ومناءً في خيراتها الظاهرة وبفعلهِ كان اذكى دءهُ بدلًا من ان يشفي داءهُ. ولذلك قد آثر في مدَّة حياتهِ الخفيَّة الخمول والهوان منقطعاً الى الفضائل التي وحدها تعظّم الانسان في اعين الله وتجرّدهُ من

ربقة الشهوات الدنيَّة وتطلقهُ من اسر الخطيَّة لانَّ « كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة » (يوحنا ٨ : ٣٤)

وممن خُدعوا بهذه الزخارف الباطلة اولئك الهراطقة واصحاب اناجيل الزور الذين خجلوا من ضعة المسيح وخمولهِ في السنين التي قضاها مجهولًا في وقت طفوليتهِ ثم شبابهِ الى كهولتهِ فتراهم يذكرون لهُ الاعاجيب في مهدهِ وفي رواية هربهِ الى مصر من هيرودس وفي زمن اقامتهِ في ارض النيل ثم في مدَّة السنين التي صرفها في حانوت ابيهِ بالذخيرة القديس يوسف البتول . وهذه المعجزات تناقلها العرب ورواها مؤرخوهم وكتبة سير الانبياء كالكسائي في قصص الانبياء وكالثعلبي في كتاب العرائس الذي طُبع مرارًا في مصر والهند ولو جمعنا تلك الاساطير لتألف منها كتاب ضخم اثبت انَّ السيد المسيح هو اكبر فاعل للمعجزات . ودونك مثالًا مما رووهُ :

فن ذلك قولهم انَّ المسيح كان يكلّم الناس في المهد وانهُ نطق امام بني اسرائيل لينقذ والدتهُ الطاهرة من تهمة الزنا . وانهُ في مسيرهِ الى مصر مع والديهِ وهم هاربون من وجه هيرودس كانت اشجار النخل تحني بعذوقها امامهم لينالوا من ثمرها . وانهُ انبت في بستان المطريَّة شجر البلسان بعد ان اغتسل في ماء بئرها . وانهُ في حداثة سنّهِ كان يعمد الى طين فيصورهُ على شكل الطير ثم ينفخ فيهِ فيطير . وانهُ أُتهم بقتل ولدٍ فأنطق الميت ليبرّرهُ من ذلك الاثم . وانهُ لما دخل الكتّاب ليتعلّم اذهل معلّمهُ بعلمهِ العجيب غير المكتسب . وانهُ لما تعلّم حرفة الصباغة كان يصبغ في مغطس واحد ثيابًا فيخرجها في الوان شتى . وآيات اخرى كهذه اخترعوها تنويهًا بمقام السيّد المسيح ولا سند لها الأمحتلة واضعيها فنبذتها الكنيسة نبذ النواة منذ ظهورها ولم تقبل سوى الاناجيل الاربعة التي سبق المشرق واثبت صحتها وعدم تحريفها بأدلّ البراهين واقطع الحجج فلم يقف حتى اليوم من اعترض على كاتبها

فاذا يُستفاد اذن من هذه الاناجيل لمعرفة حياة السيّد المسيح ؟ لعمري انَّ ما رواهُ الانجيليُّون لزهيد جدًّا لا يتجاوز صحيفةً واحدة وانما ذلك كافٍ لبيان الوهيَّة المسيح في تلك السنين الثلثين التي قضاها قبل ان يظهر دعوتهُ امام بني اسرائيل

وفي اتوالهم البسيطة غنى عن المعجزات الغريبة التي وضعها المدلّسون لتعظيم ابن الله

احد الاحداث القليلة المروية في الاناجيل عن السيد المسيح في باكورة حياته خروجهُ الى مصر باشارة الملاك الى يوسف ابيهِ بالذخيرة قائلًا له (متى ٢ : ١٣ — ١٤): «قم وخذ الصبيّ وامّهُ واهرب الى مصر ... فانّ هيرودس مزمع ان يطلب الصبيّ ليهلكهُ. فقام واخذ الصبيّ وامّهُ ليلًا وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس»

ليت شعري ما أبعد هذا من قوّة اللاهوت ! افتزعم انّ الوهيّة المسيح ظهرت في هربهِ ايضاً ؟ نعم لأنّ قوّة الله كثيرًا ما تظهر في الضعف

لم يُعلن المسيح قوّتهُ وتنتذ بقتل هيرودس او بعملٍ آخر عجيب يقضي بالقول كما قال بعض المراطقة انّ المسيح الهٌ فقط وما ناسوتهُ الّا خيال دون حقيقة لكنّهُ اظهر تلك القوّة بانْ أحبط آمال هيرودس على طريقة لم يشعرهُ بها فذهبت مكايدهُ ادراج الرياح واظهرت لكلّ رعاياهُ ظلمهُ وفظاعتهُ بقتلهِ لاطفال صغار ابرار ثمّ زادت اليهود علماً بانّ الصولجان خرج من يهوذا كما كان تنبّأ به يعقوب وانّ مجيء المسيح قد حان زمنهُ

وزد على ذلك انّهُ بقتل اطفال بيت لحم تمّت نبوّة ارميا النبيّ (٣١ : ١٥): «هكذا قال الربّ: صوتٌ سُمع بالرامة ندبٌ وبكاء مرّ. راحيل تبكي على بنيها وقد أبت ان تتعزّى لأنّهم ليسوا في الوجود» لكنّ ذلك الدم الزكي المهراق كان كفّاد برّر نفوس اولئك الصغار من الخطيئة الاصليّة وفتح لهم باب الفردوس باستحقاقات المسيح فاديهم كما أنّهُ اضحى كدم هابيل يطلب الانتقام من الطاغية وعمّا قليل سيسمع الله صوتهُ فيضرب ذلك الملك العاتي الظالم ضربةً اليمة يشمت بجاوزها كلّ مبغضيه

ولا بُدّ من القول ايضاً انّ السيّد المسيح اراد الدخول في مصر ليقدّس ارضها التي اصبحت بعد صعوده بقليل تربةً خصبةً ازهرت فيها النصرانيّة بنوع عجيب كما تشهد عليهِ الآثار المتعدّدة التي خلّفتها القدماء ويستخرجها علماء عصرنا كلّ يوم من زوايا النسيان ومن مطامير الفيوم وغيرها . فهناك أُنشئت اوّل المدارس النصرانيّة

العموميَّة التي اشتهر فيها اقليميس الاسكندري وبنتانوس رسول اليمن واوريجانوس المعلّم . وهناك انتشرت المعيشة الرهبانيَّة الفضلى التي حوَّلت بلاد الصعيد الى فردوس سماويّ بعد انطونيوس الكبير والالوف المؤلفة من تلاميذهِ . أفلا يجوز نسبة هذه المآثر الجليلة الى الطفل الالهيّ وهو كلمة الله الذي خلق بدخولهِ الى مصر عالمًا جديدًا روحيًا كما خلق في البدء عالمنا الهيوليّ اذ قال لهُ : كن فكان . ثمَّ يجب القول ايضًا انَّ السيّد المسيح بدخولهِ مصر حقَّق فعلًا نبوة هوشع (١١ : ١)القائل عن المسيح المرموز اليهِ باسرائيل (متى ٢ : ١٥) : «من مصر دعوتُ ابني »

*

ومن المرويَّات عن المسيح في حداثة سنّهِ ما اخبر بهِ لوقا (٢ : ٤١—٥٢) عن صعودهِ الى اورشليم في الثانية عشرة من عمرهِ حيث تخلّف عن والديهِ وبقي في الهيكل على غير علمهما فابتعدا عن القدس وكلٌّ منهما يظنّ انَّ يسوع الصبي مع فرقة الآخر . ثمَّ طلباهُ بعد مرحلتهما الاولى فلم يجداهُ فعادا الى اورشليم كئيبَين وفي اليوم الثالث لقياهُ في الهيكل « جالسًا فيما بين المعلّمين يسمعهم ويسألهم وكان جميع الذين يسمعونهُ مندهشين من فهمهِ واجوبتهِ » واذ سألتهُ امّهُ لِمَ صنع بهما هكذا وهما يطلبانهِ متوجّعين قال لهما : « لماذا تطلبانني ألم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لأبي »

تلك المرَّة الوحيدة خرج فيها السيّد المسيح عن خطّة الاتّضاع والخمول التي لزمها مدَّة حياتهِ الخفيَّة وبها اضوأ دليل على الوهيَّتهِ . (اوَّلًا) بتفرُّدهِ عن والديهِ اظهر بنوع جليّ انهُ هو السيّد يمكنهُ ان يصنع ما يشاء ويتصرَّف باعماله كيفما يشاء حتى في أبان صباهُ وانهُ بقبوله الطاعة لاهله انَّما فعل ذلك من تلقاء ارادته وليس لأحد حق ولا لوالدته الطاهرة ان يسألهُ السبب عن اعماله . (ثانيًا) بجلوسه بين علماء اسرائيل وهو في سنّ الطفولية أشعرَهم بسمعه لتعاليمهم واسئلته التي القاها عليهم واجوبته التي كان يجيب بها على مطارحاتهم انَّ علمهُ ليس بثمرة الدرس الطبيعي المحصَّل بل هو من صفاتهِ الجوهريَّة فابصر رؤساء اليهود « مجد الكلمة المتجسد مجد وحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقًّا . . . الذي من امتلائهِ نحن كلّنا اخذنا » (يوحنا ١ : ١٤—١٦) وتحقّقوا مذ ذلك الحين ما سوف يقرُّون بهِ يومًا عند ما

يسمعونهُ فيصرخون (يوحنا ٧ : ٤٦) : « ما نطق انسانٌ قطّ بمثل ما نطق هذا الرجل » ويشهدون بانَّ علمهُ هذا ليس تحصيلًا قائلين (متى ١٣ : ٥٤ مرقس ٦ : ٣ ويوحنا ٧ : ١٥) : « من اين لهُ هذه الحكمة والقوات اليس هذا ابن النجّار . . . من اين لهُ هذا العلم وهو لم يدرس الكتب » . (ثالثًا) بكلامهِ العجيب الى مريم ويوسف حيث قال لهما : « ألم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لأبي » جاهر امامهما بكونهِ ابنًا لله الازلي ولذلك دعاهُ « ابًا » لهُ بالافراد معلنًا بانهُ لا يريد أبوَّةً مجازيَّة بل ابوَّة جوهريَّة فنطق منذ تلك الساعة بحقيقة لاهوتهِ وأكَّد تلك النسبة التي لاجلها اراد اليهود بعد ذلك قتلهُ كما اخبر يوحنا (٥ : ١٨) حيث قال : « ازداد اليهود طلبًا لقتلهِ ليس لانهُ كان ينقض السبت فقط بل ايضًا لانهُ كان يقول انَّ الله ابوهُ مساويًا نفسهُ بالله »

وبعد هذا الحادث لا يروي كتَبة الاناجيل عن يسوع المسيح غير ما رواهُ لوقا بقولهِ (٢ : ٥١ — ٥٢) : « ثم نزل معهما واتى الناصرة وكان خاضعًا لهما » والتمع الانجيليُّون الى ما كان يمارسهُ من الشغل في بيت يوسف حيث نقلوا ما كان يقال عنهُ « بانهُ نجّار » (مرقس ٦ : ٣) « وابن نجار » (متى ١٣ : ٥٥) فاختصروا حياتهُ بتبيان خمولهِ وذكر خضوعهِ والاشارة الى ارتزاقهِ بالشغل

فماذا نقول ؟ أهذا يليق باله ؟ أنبني على هذه الصفة برهانًا لبيان ألوهيتهِ ؟ او ليس الاحرى بالنصرانيّ ان يخجل من اله هذه صفتهُ ؟

كذا يقول العالم والذين « لا يفطنون لما لله لكن لما للناس » (مرقس ٨ : ٣٣) . امّا الله الذي لا يحكم كحكم البشر فقد اراد ان « يُجهّل حكمة هذا العالم » (١ كور ١ : ٢٠) بل اراد ان « يُبيد حكمة الحكماء ويرذل عقل العقلاء » (١ : ١٩) حتى يُظهر لكلّ ذي عين « انَّ مستجهَل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس » (١ : ٢٥) فاختار ابنهُ الوحيد هذه العيشة الخاملة لأنهُ رآها احسن وسيلة ليلقّن الانسان العيشة الصالحة التي وحدها تعظّم المرء وترفع قدره على خلاف بقيَّة المناقب التي يبتغي فيها البشر ولا يطلبون الّا الاستبداد والجاه العالميّ وبذخ العيش

عرف ابن الله انَّ اعداء الانسان ثلاثة عدَّدها يوحنا الرسول في رسالتهِ الاولى (٢ : ١٦) حيث قال : «انَّ كلَّ مـا في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة» فتلك هي الاسقام الثلثة التي ابتُلي بها جنسنا وفشت عدواها في كلّ البشر فاراد طبيبنا الالهيّ الذي نزل من السماء ان يشفينا من هذه الادواء ولم يجد لذلك دواء انجع من ان يجعل سيرتهُ مثـالاً لحياتهم فاراد ان يُخضع نفسهُ للشغل الشاقّ ليكسر شهوة الجسد الى لذّات العالم. واراد ان يحمل عبء الفقر والمسكنة ليقمع شهوة العين التائقة الى حطام العالم واراد ان يعيش خاملاً ليناصب فخر الحياة فيا لهُ من مثال عجيب اعطاهُ ابن الله للبشر من شأنهِ ان يُفحم كلَّ ابيّ متعظّم وقدّمهُ لنا بالفعل قبل أن يُعلّمهُ بالكلام لانَّ السيّد المسيح كما قال القديس لوقا في سفر الاعمال (١ : ١) ابتدأ ان يعمل بنفسهِ ما علّمنا ايّاهُ بعد ذلك بكلامهِ اذ ليس برهان اقنع للانسان من المثل. وقد قال الحكماء : انَّ طريق الكلام طويل امَّا الامثال فطريقها مُختصر. فايّ انسان يستطيع ان يردّ كلام ابن الله اذا سمع من فيهِ قولهُ : «طوبى للمساكين. طوبى للمتواضعين. طوبى لمن يزدرون بهذا العالم واباطيل هذا العالم ليرجحوا نفوسهم» فانّهُ لا يسعهُ الّا الانقياد الى قولهِ تعالى بعد ان رآهُ تذلّل وتمسكن وخملَ من قبلهِ. فهذه هي اعمال الله وهكذا شفى ابنُ الله امراضنا واخذ على نفسهِ عاهاتنا وبدائهِ شفينا (اشعيا ٥٣ : ٥)

ولا يفهم قوّة هذا المثل الذي اعطاهُ السيّد المسيح للبشر الّا من عرف حالة الامم يوم تأنّس ابن الله فانَّ العالم بانتشار الوثنيّة على وجه الارض كان غائصاً في ردغات الفساد فتخيّر لهُ آلهةً تضاهيهِ في شهواتهِ فألّه تلك الشهوات وجثا راكعاً امام الزُهرة العاهرة وباخوس السكير والمشتري الزاني وعطارد السارق وقس عليهِ بقيّة المعبودات الشبيهة بها عند ارقى الشعوب تمدّناً واوسعهم عقـلاً كاليونان والكلدان والمصريين والرومان. فليت شعري من كان يقوى على مقاومة كلّ هذه الشهوات النجسة الّا إله متأنس يعلّم الانسان طريق الفضيلة ويرشدهُ الى سبيل الصلاح ليس بكلامهِ فقط ولكن بامثالهِ المحسوسة فيستطيع ان يقول للعالم (يوحنا ١٣ : ١٥) : «اني اعطيتُكم قدوةً حتى انكم تصنعون كما صنعتُ انا» اذ «ليس عبدٌ فوق سيّدهِ» (متى ١٠ : ٢٤)

وقد مارس السيّد المسيح بمثلهِ اشدّ ما كان ينفر منهُ العالم . كان العالم يحب الشغل كسمة العبيد ويحبُّ الخلود الى الراحة ورغد العيش والملذّات فشرّف الشغل بمزاولتهِ لهُ مدّة ثلاثين سنة . وعلّم الانسان «انهُ يولد للمشقّة كما يولد الطير للطيران» (أيوب ٥ : ٧) . كان العالم يعظّم الحرّية والاستبداد ويأبى الخضوع والطاعة فكسر السيّد المسيح عنفوانهُ بخضوعهِ لمخلوقاتهِ مع انهُ الربّ الذي تحقّ لهُ كل رئاسة وكلّ عظمة . كان العالم لا يتوق الّا لحشد الاموال والغنى والماديّات الارضيّة فعلّمهُ السيّد المسيح ان يزهد بالدنيا ويتمتع بالقليل وينبذ عنهُ المطامع ويعتبر الفقير كاخٍ لهُ ويُحسن اليهِ بالمال الذي هو في يدهِ كوديعة الخالق الذي وكلهُ اليهِ ليوزّعهُ على المحتاجين . وقد تمّم بكل ذلك ما تنبأ عنهُ النبيّ داود في المزامير حيث قال عن لسان المسيح (مز ٨٧ : ١٦) : «اني في البؤس والكدّ منذ صباني»

هذا ما فعلهُ ابن الله مدّة السنين الطويلة التي قضاها في الناصرة افترى انهُ طاش سهماً بفعلهِ او ليس الاحرى ان يقال انهُ اصاب الهدف وأتى الامر من فصّهِ وداوى الجرح احسن مداواة فكأنّهُ قال بلسان حالهِ للانسان : انك قد هبطت من السعادة التي أُعطيتَها بالفردوس لأنك بعجرفتك اردت ان تتشابه بالاله اذ خالفت وصيّة خالقك وفضّلت مشورة ابليس حين قولهِ لك بلسان الحيّة لحوّاء : «انكما تصيران كآلهة عارفي الخير والشرّ» فكان عصيانك سبب ذلك وشقائك فها انذا صرتُ شبيهاً بك انساناً فتشبّه بي واسلك مسلكي فهذه المرّة لا بأس عليك ان تصير الهاً بهذا الشبه وترقى الى اعلى مقام الشرف

فليقم الآن كلّ ذي عقل وانصاف وليقل لنا أفكان يمكن لإله ان يجري على خطّة امثل وطريقة اصوب ممّا اختارهُ السيّد المسيح ليزيل اضاليل العالم ويغلب شهواتهِ . وان تجرّأ احد ونكر الامر اريناهُ الانقلاب العظيم الذي صار منذ ذلك الوقت في احوال الدنيا . اريناهُ الاغنياء ينبذون ثروتهم ليتبعوا ابن الله في فقرهِ . اريناهُ عظام الدنيا يطلبون خدمة الصغار والمرضى والعجزة . اريناهُ الملوك نازلين عن منصّة الملك ليقضوا حياتهم في اعمال الاماتة والتقشّفات فلولا السيّد المسيح ومثالهُ أكان رأى العالم كلّ هذه العجائب . فليس للانسان العاقل بعد هذا الّا ان يصرخ هاتفاً الى خامل الناصرة : «انك حقيقة انت ابن الله» (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

In Nordostarabien und Südmesopotamien. Vorbericht über die Forschungsreise 1912. Von Prinz Sixtus von Bourbon von Parma und Dr Alois Musil. Wien, 1913, pp. 20

رحلة حديثة الى شمالي جزيرة العرب وجنوبي ما بين النهرين

ليس بين الاوربيين المحدثين من اشبه في اقدامه وربط جأشه صديقنا وتوبل كلّيتنا سابقاً الدكتور لويس موسيل فانّهُ منذ فارقنا سنة ١٩٠٠ عاد ثاني مرات الى الشرق ودخل بلاد العرب وطاف مجاهل جزيرتهم حتى كادت تلك البوادي الممتدة من الفرات الى الاردن ومن العراق الى الحجاز تعرفهُ كما يرحب به اهلها من الحضر والبدو · وقد كثر اخبار اسفاره مع ما جمعهُ من الفوائد التاريخية والجغرافية والاثرية عن تلك الجهات مع تدوين عادات اهلها ولغاتهم ومذاهبهم · وها هوذا قد استأنف رحلةً فزار العام الماضي مع البرنس سِكست من أُسرة الامراء البوربون جهات شمالي جزيرة العرب وجنوبيّ ما بين النهرين متحمّلًا من المشاقّ ما كاد يفقدهما ثمرة اتعابهما وخرج عليهما شذّاذ البادية فنهبوهما · لكنّهما عادا والحمد لله سالمين وقد اسرع حضرة الدكتور موسيل الى تفصيل اخبار هذه الرحلة الاخيرة في مجلّة العلوم المطبوعة في فيينّا فاهدانا منها نسخةً قرأناها بملء الشوق فنثني على همّته القعساء ونتمنّى ان ينشر قريباً الفوائد العلميّة التي اجتناها من هذه الرحلة ل · ش

Die christlichen Kirchen des Orients. Von Dr Konrad Lübeck. Kempten (Bayern), Koesel, in-18, pp. 206, 1912

الكنائس المسيحيّة في الشرق

يشتمل هذا الكتاب وصف الطوائف المسيحيّة المتفرّقة في الشرق مع تعريف خواصها وطقوسها سواء كانت كاثوليكيّة او غير كاثوليكيّة · ففي الباب الاوّل منهُ مختصر تاريخ الكنائس التي انفصلت عن الوحدة الرومانيّة منذ القرن الرابع مباشرةً بالنسطوريّة ثمّ اليعقوبيّة بين الاقباط والحبش والسريان والارمن ثمّ الكنيسة الروميّة الفوطيوسيّة · ويلي هذا الباب فصل آخر في بيان احوال هذه الكنائس ونظامها في زماننا ولاسيّما الكنيسة اليونانيّة والمسكوبيّة · وفي اثره باب ثالث في تعريف

معتقدات الكنائس المذكورة ورتبها الطقسيَّة والاختلافات الكائنة بين الكاثوليكيَّة وسواها في الطقوس.. وقد ختم هذه الفصول بمقالة عن الرهبانيَّات الشائعة بينها وعن تهذيب الرهبان والاكليروس. وقد لحظنا انَّ الدكتور صاحب هذا الكتاب قد دقَّق النظر في موضوعهِ فلم يكد يفوتهُ الّا القليل فمن ذلك قولهُ (ص ٥١-٥٢) بان كرسيَّ اجمياطين او فاغارشابات قريباً من اريفان جنوبي جبل اقمتاز قد انشأهُ القديس غريغوريوس المنوّر وهو قول رددنا عليهِ في كتابنا عن تاريخ الارمن الدينيّ والسياسيّ (١. وكذلك قد وهمَ بقولهِ ان الجمعيَّة المكيتاريَّة هي فرع من الرهبانيَّة الانطونيَّة (ص ٣٢). وكان حقهُ ان يذكر في جملة المدارس الاكليريكيَّة المهتمَّة بتهذيب الاكليروس الشرقيّ مدرسة القديس لويس للآباء الكبوشيين في الاستانة ومدرسة كليتنا الاكليريكيَّة حيث يتربَّى بِا سبعون من الاحداث من كلّ الطوائف وينالون اجازة الملفنة في الفلسفة واللاهوت ف. ت

Docteur Jeanne Bon. Thèse sur quelques Guérisons de Lourdes, présentée à la Faculté de Médecine et de Pharmacie de Lyon. *Paris*, 1912, pp. VII-150

دفاع طبيّ عن الشفاءات الجارية في لورد

رغماً عن مناهضة اعداء الدين ومنكري المعجزات قد دخلت الشفاءات العجيبة الجارية كلّ سنة بل كلّ يوم في مدينة لورد بشفاعة العذراء مريم في طور علميّ حتى انَّ عدداً عديداً من الاطبَّاء الذين لم يريدوا ان يعيروها بالاً في المستقبل اخذوا اليوم يتولَّون البحث عنها. وقد بلغ عدد الذين ذهبوا منهم الى لورد في العام الماضي ٥٠٠ طبيب امكنهم ان يشاهدوا المرضى ويتحقَّقوا امراضهم التي عجز عن علاجها رصفاؤهم فطلبوا لهذه المعلومات علَّة لم يجدها اكثرهم الّا بالاقرار انَّ هذه الشفاءات جارية بقوَّة فائقة الطبيعة. وكنَّا في العام الماضي (المشرق ١٥ : ٧٧٥) ذكرنا كتاباً للدكتور دي بوزو اثبت الامر علميًّا في ٢٠ شفاء جرت في لورد. واليوم قد اتانا كتاب آخر فيهِ دفاع طبيّ عن شفاءات اخرى لساولين كان أيس منهم الاطبَّاء فبرئوا بمجرَّد التجائهم الى سيدة لورد في مقامها. وهذا البحث العلميّ

(١ Tournebize: *Histoire politique et religieuse de l'Arménie*, Paris, 1910 pp. 401-467

مبنيّ على كلّ الاكتشافات الطبيّة دافع عنهُ صاحبهُ في هذا الكتاب ثمّ امام لجنة مركّبة من اساتذة المكتب الطبي والصيدليّ في ليون فاجاب على كلّ الاعتراضات قدّمها الفاحصون وبيّن انّهُ لايمكن تعليل تلك الشفاءات على طريقة طبيعيّة البتّة . فسبحان الله الذي أيد ديننا الكاثوليكي بمثل هذه البراهين التي يؤيدها العلم نفسهُ فضلًا عن العيان . أفليست اصبع الله هنا ؟ الاب هـ . ريشار

Adolphe Retté. Au pays des Lys noirs. Paris, Téqui, 1913 in-12

منابت الزنابق السود

يترق الانسان الى كلّ ما يعظّم نفسهُ ويرفعها الى ما فوق طبيعتهِ . ولا غرو فانّ الله قد دعا البشر الى تلك الدعوة الفائقة الطبيعة التي اوحى بها ابنهُ الوحيد فمن لبّى هذه الدعوة في الكنيسة التي انشأها وسلّم اليها وديعة وحيهِ اصاب تلك العظمة الحقيقيّة فصار بالنعمة والفضيلة « شريكاً معهُ في الطبيعة الالهيّة » (٢ بطرس ١ : ٤) امّا الذي يهمّ دونها اذانهُ فانّهُ يطلب عظمةً باطلة بممارسة تلك الاعمال السريّة الفاضحة التي يعرضها المبتدعون كما فعل اهل البدع قديمًا من الادريين (Gnostiques) واشباههم فيزلّهون نفوسهم ولا يلبثون ان يصبحوا في حوزة الشهوات الشائنة التي تهبط بهم الى اقصى درجات الذلّ . والكتاب الذي عنوانهُ « منابت الزنابق السود » شاهد عيانيّ على القضيّة المذكورة فانّ صاحبهُ المسيو « ريته » اراد في شبابهِ ان يترفّع ويتشابه بالروح الالهيّ فدلّهُ بعض اصحابهِ على رجل اسمهُ غوايتا (St. Guaita) كان يناجي الارواح ويدعو نفسهُ كامثالهِ بالزنبق . فكاد « ريته » يصبح ضحيّة استهوائهِ لولا انّهُ نجا بطريقة عجيبة من مخالب الرجل . واذ هداهُ الله الى التوبة النصوح اراد ان يكتب هذا الكتاب فدعاهُ بالزنابق السود اشارة الى اولئك الشبّان الملقّبين بالزنابق ليكشف خبائثهم ويحذّر مثله الشبّان لئلّا يُخدعوا بمكرهم . ومذ عاد المسيو ريته الى ربّهِ تائبًا قد خصّ قلمهُ (وهو من مشاهير كتبة عصرنا) بخدمة الحقّ والدين وكان اوّل كتابٍ وضعهُ بعد رجوعهِ الى الله كتاب عنوانهُ « من الشيطان الى الله » (Du Diable á Dieu) را فبلغ بزمن قليل طبعتهُ الثانية والثلثين . فنشير على شبيبة الشرق الذين يغويهم

اصحاب مناجاة الارواح ان يطّلعوا على هذا الكتاب ليقفوا على ما ينتظرهم من الاخطار نفساً وجسداً اذا اختلطوا باولئك الخدعة الاب ل. جلابرت

C. A. NALLINO ; L'Arabo parlato in Egitto (MANUALI HOEPLI), 2ª ediz., Milano, 1913, pp. 531

اللغة المصريّة العاميّة

كان الاستاذ كرلو نالّينو ألّف سنة ١٩٠٠ كتاباً في الايطاليّة خصّهُ باللغة العاميّة في مصر وصفناهُ عند ظهورهِ (في المشرق ٣ : ٥٦٦) وبيّنّا فضل مؤلّفهِ. ثمّ انتدبت الجامعة المصريّة جناب الدكتور ليلقي فيها دروساً عن العلوم الشرقيّة فقضى في مصر ثلاث سنوات اختلط في مدّتها مع اهلها وتعمّق في درس اللهجة العربيّة المصريّة فلم يزل يحسّن كتابهُ السابق فينقّح ويزيد وينقّص حتى اذا نفد اعاد طبعهُ مع ما استفادهُ من معلوماتهِ الجديدة. وها هوذا اليوم قد حقّق امانيهُ بهذه الطبعة الثانية التي دقّق فيها النظر فضبط قواعد لهجة المصريّين العاميّة ضبطاً تامًّا واضاف الى تلك القواعد محادثات شتى ومجموع الفاظ في اخصّ الامور التي يتداولها العامّة في حياتهم الاهليّة وكلّ ذلك مصوّر بالحرف الايطالي على حسب اصطلاح المستشرقين مع ملحوظات عديدة لغويّة وتاريخيّة وفي آخرها تمرينات ومنتخبات وامثال من شأنها تعريف لغة المصريّين على احسن منوال. فنشكر الدكتور نالّينو على عملهِ الذي نتمنى لهُ رواجاً تامًّا ل. ش

GUIDA DA CONVERSAZIONE ITALIANO ARABO

الترجمان الايطاليانيّ باللفظ العربيّ

طبع في المطبعة العلميّة ليوسف صادر ببيروت سنة ١٩١٣ (ص ٢٠٨)

انّ ادارة المكتبة العموميّة والطبعة العلميّة للاديبين الشقيقين سليم ويوسف ابرهيم افندي صادر قد اصدرتا هذا الكتاب على مثال ما سبق لهما من الترجمانات الفرنسويّة والانكليزيّة والبرازيليّة. وقد جاء هذا التأليف في وقتهِ بعد دخول الايطاليين طرابلس الغرب فهم في حاجة الى ما يسهّل المعاملات بينهم واهل تلك البلاد كما انّ مواطنينا المسافرين الى تلك الجهات يحتاجون الى كتاب كهذا فيهِ ملحوظات وتمارين لغويّة ومجموع مفردات وعبارات ايطاليّة متداولة مع ترجمتها العربيّة وتصوير لفظها

فيها . ومع ضبط تلك الالفاظ قد وقع في بعضها اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة ثانية نحو (ص ٢٨) « Sceondo » الصواب « Secondo » و (ص ٥٠) « Lratello » والصواب « Fratelio » و (ص ٦٦) « atrezzi » والصواب « attrezzi » و (ص ٧١) « colazione » والصواب « collazione » و (ص ٩٠) « awocato » والصواب « avvocato » او « avocato » و (ص ١٦١) « l'avate » والصواب « l'avete » و (ص ١٨١) « prezo » والصواب « prezzo » الخ

ل . ش

المتعبّد لقلب يسوع

طبعة ثالثة مصححة على نفقة اخويات قلب يسوع

في المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٢٧٢)

انتشار العبادة لقلب يسوع الاقدس في عهدنا قد دعا كثيرين لوضع عدة تآليف تقوية تساعد على جني اثارها الروحية . ومن احسن ما نُشر في ذلك كتاب سمت بنشره لاول مرة شركة قلب يسوع في البيروت فراج لكثرة فوائده . وها هي ذا قامت بتجديد طبعه بعد تصحيحه وزيادة فروض تقوية كثيرة عليه ليعم نفعه كل اخويات قلب يسوع فانّ فيه اولاً كلاماً مطوّلاً في العبادة لقلب يسوع ثم بيان قوانين الشركة وجدول الغفارين الممنوحة للمنضوين اليها . ويليه عدة رتب وصلوات تقام في الاجتماعات العمومية مع التشيد للقربان الاقدس واعياد الشركة وفي آخرها فصول من كتاب الاقتداء بالمسيح تُتلى استعداداً للمناولة وفي الختام رسوم وضعتها الجمعية الرئيسية لاخوية قلب يسوع لانشاء شركات جديدة . فترى من هذه الخلاصة منفعة هذا الكتاب الذي أُحكم طبعه وأُتقن تجليده

ل . ش

الاجوبة السديدة

وهو القسم الاول من الحقائق الدينية ازاء الاضاليل والاعتراضات العصرية

بقلم الخوري يوسف العشيقي

بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٤٠)

هذا باب قد طرقه كثيرون من علماء الكاثوليك في عصرنا لدحض آراء الكافرين وسفاسف الجهلة الذين يرددون كالببغاء ما يسمعونه من الاعتراضات على

الدين فيتشبثون بها كأنّها براهين قاطعة وهي في الحقيقة اوهن من نسيج العنكبوت ولكن كم من ذباب لا يستطيع النجاة من سدى العناكب ! وعليه نثني الثناء الطيّب على همّة حضرة الخوري يوسف العشيقي الذي عمد الى اشيع اعتراضات الملحدين في زماننا التي فنّدها السيّد دي سيغور فبسطها للشرقيين بحيث لا يبقى للمعترض الّا ان يقرّ مذعناً للحقّ ما لم يُرد ان يكابره ويأتي اثماً فظيعاً فلا يجوز له يوم الحساب ان يعتذر بجهلهِ امام الديّان. ونشكر حضرة المؤلف خصوصاً على تفضيلهِ الاعتراضات التي شاعت حديثاً في بلادنا فوضع الهناء موضع النَّقب جازاهُ الله خيراً ل . ش

المنشرات الصادقة

بقلم الخوري انطون فرج من الاكليروس البطريركي
طُبعت في مطبعة الاخبار سنة ١٩١٣ (ص ٣٨ و٨٠)

يُدعى عصرنا عصر الانوار أفما تُرى تبقى الحقائق الدينيّة وحدها عجوبة ؟ لا وايم الحقّ فانّ المعتقدات احقّ من غيرها « ان تُنير كلّ انسان آتٍ الى العالم » (يوحنا ١ : ٩) كيف لا وهو الربّ القائل : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم » (متى ٢٨ : ١٩) ويقول الرسول (١ كور ٩ : ١٦) : « الويل لي ان لم ابشّر » . ومن ثمّ ترى الكنيسة الكاثوليكيّة امتثالاً لدعوة منشئها تروّج كلام الله حيثما حلّت امّا بالتعليم الشفاهي وامّا بالكتابة . ويسرّنا انّ النشرات الدينيّة تنمو كلّ يوم وتكشف عن الدين القويم كلّ الشبهات . وممّا طُبع آخرًا من ذلك في مصر « نشرات » بقلم احد فضلاء الروم الملكيين الكاثوليك حضرة الخوري انطون فرج الذي ساءهُ ابتعاد الاخوة المنشقّين عن الكنيسة الواحدة الجامعة فحاول بهذه النشرات ان يزيل عن قلوبهم غياهب الضلال باثباته انّ الكنيسة لا يمكنها الّا ان تكون واحدةً فقط وانّ هذه الكنيسة هي تلك التي وحدها تستطيع ان تثبت كونها كاثوليكيّة اي جامعة تشمل كلّ الاقطار والامم على خلاف الكنائس الخاصّة من نساطرة ويعاقبة وروم ارثذكس المنحصرة في حدود معلومة وقد عرض حضرة المؤلف هذه الادلّة على طريقة محسوسة قريبة المنال اعني طريقة محادثةٍ بين كاهن وتلميذ . فعسى ان تأتي هذه النشرات بثمارها الغزيرة وتجمع القلوب بالوحدة كما طلبها السيّد المسيح بقولهِ « وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد » (يو ١٠ : ١٦)

من اين جئنا

تأليف الخوري مورو — تعريب الخوري لويس دريان
طُبع في بيروت في مطبعة الروضة سنة ١٩١٢ (ص ١٧٦)

انّ الحقائق الفلسفيّة والدينيّة اذا كانت مبنيّة على ركن علميّ كانت اثبت في العقل وارسخ في القلب . ومما نُشر بالطبع من هذا القبيل ثلاثة تآليف افرنسيّة نفيسة لاحد كبار الناسكين في عصرنا ألا وهو كاهن افرنسيّ يُدعى الخوري مورو (Moreux) الشهير بكتاباته العلميّة واكتشافاته الفلكيّة عنونها بهذه العناوين الثلثة « من اين جئنا — واين نحن — والى اين نسير » فزج فيها حقائق الوحي والتعاليم الوضعيّة مزج الماء بالراح . وقد عمد حضرة الخوري لويس دريان المعروف بانشائه الرائق وذوقه السليم الى تعريب الكتاب الاوّل المعنون « من اين جئنا » فاخرجه بالعربيّة على صورة تكاد تشبه الاصل الشبه التام فتلذّذ به قرّاء جريدة الروضة تباعاً . وقد احسن بجمعه في كتاب مستقلّ يعمّ فوائده . وغاية ما يقال عنه انّهُ من اجود الكتب التي يستطيع الأدباء ان يتداولوها ونشير على ارباب المدارس ان يجعلوهُ في ايدي طلبتهم ويعطوهُ كجائزة نفيسة لمستحقّيها . وأملنا ان لا يتأخر حضرة المعرّب ان يتحفنا بالكتابين الآخرين متّعنا الله زمناً طويلاً بآثار قلمهِ

ل . ش

كتاب آداب المراسلة (كتاب التلميذ)

تأليف الخوري بطرس البستاني
طُبع في المطبعة العلميّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٧٣)

كان فنّ المكاتبات قبل خمسين سنة في بلادنا بديهيًا يتعلّمهُ الطالب بالتمرين الشخصيّ او بمطالعة بعض كتب التدريس المخلّة المعروفة بالانشاء كانشاء عطّار وامثالهِ . على انّ هذا الفنّ لم يزل يتحسّن بهمّة بعض ادبائنا العصريين كمحمّد عمر نجا وعبد الباسط الانسيّ بين المسلمين وكالاخوين المرحومين سعيد ورشيد الشرتوني بين النصارى حتى اصبح سليم الذوق متوفّر المادّة . وقد كان حضرة الخوري بطرس البستاني اتحف ارباب المدارس بكتاب مستملح ضمّنهُ العدد العديد من الرسائل العصريّة فوفيناهُ حقّهُ من الثناء سنة ١٩١٠ (المشرق ١٣ : ٥٦٤) وكنّا ختمنا ذلك

الوصف بابداء رأينا لوضع كتاب مدرسيّ لتمرين الطلبة على آداب المكاتبة فهوذا المؤلف قد حقّق امانينا فوضع هذا الكتاب على ثلثة اقسام اودع القسم الاوّل بيان آداب كلّ باب من ابواب المراسلة على طريقة السؤال والجواب . والثاني خصّهُ بنصوص الرسائل ليتفقّه الطالب على ممارسة الفنّ عملًا . والثالث فيهِ رسائل مختصرة يلزم الطالب توسيعها بعد معرفتهِ لمضامينها . فجاء احسن كتابٍ نعرفهُ لمزاولة هذا الفنّ واتقانهِ بزمن وجيز ل . ش

قدوة الحسان في ابنة رولان

مأساة ذات اربعة فصول عرّبها الخوري بولس البستانيّ

طبع بمطبعة صبرا في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ١٤٠)

كان تفكّه قرّاء الجمليّة بمطالعة هذه المأساة التي كُثرت في اعدادها تباعًا . ولا غرو فانها تأليف احد نوابغ الشعراء الفرنسويين الڤيكونت هنري دي بورنيه (H. de Bornier) وقد شخَّصناها غير مرَّة في مرسح كليّتنا فاصابت لدى الحضور استحسانًا وافرًا . ويا ليت المعرّب كان كساها من شعرهِ ثوبًا قشيبًا لكانت اوقع في النفوس وكذلك يقتضيها بعض التحوير ليسهل تمثيلها في المدارس حيث لا يليق تشخيص ادوار نسائيّة . وعلى كلّ نشكر حضرة الخوري بولس البستاني على اختياره هذا الاثر الادبيّ لتقريب معانيهِ البليغة من اهل الوطن ل . ش

دليل لبنان وسوريّة

الجزء الاوّل لمنشئهِ بولس مسعد

طُبع في مصر سنة ١٩١٢-١٩١٣ (ص ٤٥٢)

كان الاحرى ان يُدعى هذا الكتاب «دليل العالم الشرقيّ» بل العالم الغربي ايضًا لان صاحبهُ الاديب بدلًا من ان يحصر كلامهُ في سوريّة ولبنان اتّسع في ابحاثهِ فتصدّى لامور متعدّدة لا علاقة لها مع سوريّة ولبنان . فانك تجد في هذا الدليل كلامًا مطوّلًا عن بلاد وعناصر ولغات واديان لا اثر لها في سوريّة فكأنّ المؤلف حفظهُ الله اراد ان يصنّف دائرة علميّة مختصرة فيضيع القارئ في هذه النوافل حتى ينسى لبنان وسوريّة . وكم من امور هناك تحتاج الى زيادة تدقيق نقلها الكاتب عن مصادر لا يوثق بها فلو اردنا ان نتتبّعها لانتقادها لاحتجنا الى صفحات مطوّلة .

فانّ في كلامهِ عن الطوائف الشرقيّة وتواريخها عدّة اقاويل غير ثابتة لا تنطبق مع حقيقة الواقع . على اننا نثني على همّتهِ ووفرة مطالعاتهِ وجودة انشائهِ فان اراد ان ينفع مواطنيهِ فليتّخذ مثالاً من الادلّة الاوربيّة كادلّة بذيكر (Baedeker) او جوان (Joanne) وغيرهما فيبتدئ بكلام عامّ عن سوريّة ولبنان جغرافيًّا وتاريخيًّا ثمّ ينتقل الى قسم فقسم منها فيصفهُ ماديًّا وادبيًّا بكلام موجز مشيرًا عند اللزوم الى تآليف اطول يمكن مراجعتها . ويخصّ المدن المهمّة بوصف تاريخها وابنيتها ومعاهدها وحركتها التجاريّة والعلميّة الى غير ذلك ممّا يحتاج اليهِ السيّاح وغيرهم وينبذ وراء ظهرهِ ما لا يدخل في الموضوع . فما حاجتنا في دليل سوريّة ولبنان الى تعريف اصل الخطّ في العالم والى وصف اللغات الهنديّة والاوربيّة كالسنسكريتيّة والانكليزيّة والايطاليّة . وماذا يهمّنا تاريخ الحبش والاقباط والحميريين والوهابيين والصابئين واليزيديّة وتعريف شيع البروتستانت وطوائف اليهود ؟ هذا ما بدا لنا بمراجعة دليل لبنان وسورية واملنا انّ المؤلف يصلحهُ في طبعة ثانية حتى يصير دستورًا يرجع اليهِ كلّ من يريد الاطلاع على احوال وطننا العزيز ل . ش

جداول عمومية لمعرفة درجات القرابة بين طالبي الزواج

للشماس عمانوئيل ابي حطب

يفيدنا حضرة مؤلف هذه الجداول انها « نتيجة اسهار طويلة واتعاب جزيلة » ليسهّل على طالبي الزواج معرفة درجات القرابة الواجب مراعاتها في هذا الامر عند الروم الاورثذكسيين . وهي موضوعة على طريقة مبتكرة شرح في ذيل الجداول كيفيّة استعمالها . وقد سبق الكاثوليك الى اصطناع جداول اوضح منها واعمّها في كلّ الاتمات منها جداول على شكل اربع دوائر طُبعت في مطبعتنا على الحجر سنة ١٨٩١ يُستدلّ بها من اوّل نظر الى درجات القرابة . وعلى كل حالٍ نوصي الروم الاورثذكس باقتناء هذه الجداول المطبوعة في نيويرك

ارغنون

مجموعة اشعار احمد افندي بهجت

طُبع في الاستانة في مطبعة طنين سنة ١٣٢٧ه (ص ١٤٣)

اهدانا جناب استاذ اللغة التركية في كليّتنا هذه المجموعة البديعة المتضمّنة ٥٦

قصيدة من نظمه في لغة بني عثمان فعرضناها على المتمكنين في الآداب التركية فاجمعوا على استحسانها واثنوا على رقتها وتفنن ناظمها الذي كتبها في مواطن متعددة اذ كانت تستفزه القريحة بإزاء مشاهد الطبيعة او الاحداث التي تقلّب فيها في الاستانة العلية وسلانيك وبيروت من السنة ١٣٢٣ الى ١٣٢٧. وقد جمعها كلها تحت عنوان « ارغنون » اشارةً الى آلة الطرب المعروفة بكثرة نغماتها ل. ش

شذرات

يا بتول اتحفنا الاديب الشاب منصور اسطفان من طلبة مدرسة الحكمة الزاهرة بهذه القصيدة التي نظمها بنسبة الشهر المريمي في مديح العذراء الطاهرة على مثال القصيدة الخطرانية الشهيرة:

يا بتولًا مثل نجمٍ في فضا الآفاقِ فاقْ   انتِ للطهرِ مثالٌ في سما الإشراقِ راقْ

*

يا بتولًا بسوى تمديحكِ الاشعارُ عارْ   وبباكِ النظم علا مزدهيًا كالنارِ نارْ
فبني الكاتبَ ان ينظمَ عقدًا ثاقبًا   فمشى في جيدكِ الزاهي درى المقدارَ دارْ (١
انتِ للخلاقِ امٌّ زانها حسن التقى   انتِ للروحِ عروسٌ من سناها الغارُ غارْ
انتِ الطهر الذي ختمٌ فيه باسمٌ   يشتفي منه جنانٌ ليس بالصبار بارْ
انتِ امي انتِ قدوتي انتِ ذخري مريمٌ   انتِ عوني فبكِ قلبي لجة البحّار حارْ
قد هجرتُ الاهلَ والاوطانَ فيكِ والحمى   وفؤادي يهوى العذرا عن الاقدار دارْ (٢
فوجدتُ الجودَ في باحاتها مندفقًا   ولقيت طالبَ الانعامِ باليسّار (٣ سارْ
ووجدتُ الإثمَ ممحوًا لمن جا تائبًا   يذرف الدمعَ سخينًا وهو بالاوزارِ زارْ
ولقيتُ العفوَ والافراح فيها والتقى   ولقيتُ الحبَّ فيها بنمية الأنهارِ جارْ
أيها العذراء امي بلّغي قلبي المنى   اذ غدا يرجو العطايا والى الاوطارِ طارْ

*

حبُّكِ الحلوُ قلوبَ الولْدِ والعشّاقِ شاقْ   وسنا قلبكِ والاحشاء بالخلاقِ لاقْ

١) اي عرف العالم قدرك ٢) الاقدار هنا الاحوال ودار تحوّل ٣) اليسّار كاليسار

قد رضعتُ الحبَّ طفلاً فمعَ الألبان بانْ ... وسقيتُ القلبَ ماء لحشى الغصّانِ صانْ
فغدا الحبُّ شرابي منعشاً فيَّ القوى ... وبكِ القلبُ ولوعاً ليس بالأيمانِ مانْ (١
وأسلكِ العذبُ لقد عُلّمتهُ من قبلها ... قد غدا فيَّ يقول الشعر بالاوزان زانْ
ودرستُ البرَّ والتقوى على عذرائنا ... قبلها لُقّنتُ نحوًا لحجى الاذهانِ هانْ
فيكِ ابغي الخيرَ لا القى شقاً او كرباً ... انَّ من لاذ ببحرٍ فهوَ للمرجانِ جانْ
واذا لذتُ بكِ العمرَ فلا اخشى الردى ... لا كن لاذَ بظبي فرشا عسفانَ فانْ (٢
فيكِ يضحي الموتُ يا مريمُ حلوًا طيّباً ... انَّما طرفي اليكِ في فلا الهجرانِ رانْ
قد وقفتُ العمرَ غضاً للجمالِ المريمي ... فاقبليه فهو اضحى فيكِ كالسوسانِ سانْ (٣
واكلاني يا أمّ ولدًا قد اتى مستندياً ... رحمةً منكِ وما هو من ندى الرضوانِ وانْ
إنْ شقياً فاقبليني مثلَ عبدٍ نادمٍ ... كلُّ عبدٍ في حماكِ ثابتَ الاركانِ كانْ

وفاة عزيز — استأثر الله برحمته احد اخوتنا المرسلين الذي له على هذه المجلّة فضلٌ يُذكر نريد به المأسوف عليه الاب انطون رباط اليسوعيّ فعظم علينا فقدهُ ورسالتنا تعوّل عليه لخدمة الوطن العزيز لسنين طويلة اذ لم يتجاوز السادسة والاربعين من عمره. وقد اسعدنا الله بمعرفته منذ صباه فاطّلعنا على ما خُصَّ به من التقى والخصال الحميدة. وكنّا اوّل من اوقفهم على دعوته الى الرهبانيّة ولم نزل مذ ذلك الحين نتتبّع خطواته في ترقيه المتداوم في معارج البرّ واحرازه للعلوم الدينيّة والدنيويّة. فبرع فيها كلّها حتى امكنهُ ان يكتب في كل الامور المطروحة في زماننا على بساط البحث تدلّ على ذلك قاطبة كتاباته التي خلّفها من بعده. وكان الفقيد مولعاً بالآثار الشرقيّة يجمع منها في باريس ولندن ورومية وحلب ودمشق ما لم يحصل عليه الّا افراد معدودون. وقد نشر من هذه الآثار خمسة اجزاء أقبل عليها المستشرقون واغاضوا في الثناء على ناشرها الذي ذيّلها بالملحوظات المفيدة. وان شاء الله سيواصل اخوتهُ نشر اقسام اخرى منها. وقد كان الرؤساء قد عيّنوا الفقيد للكتابة في المشرق فزيّن صفحاته بعدَّة مقالات منها روايتهُ في البرامكة التي يجوز لنا القول انها احسن رواية طُبعت في العربيّة وابدع في تصنيفها كلّ ما كتبهُ المؤلفون الشرقيّون في بني برمك قادحة في الرواية على طريقة مبتكرة. ومنها مقالاتهُ في الانجيل الشريف

١) مان كذب ٢) الرشا صغير الظباء. وعسفان مكان ٣) السأني كالسني

التي نُشرت على حدة وضمَّنها الادلَّة القاطعة على صحة الاناجيل وصدق نسبتها الى المبشّرين الاربعة وسلامتها من كلّ تحريف وكلّ ذلك على طريقة علميَّة . ومن منشوراتهِ رحلة اوَّل رحَّالة شرقيّ الى اميركا في القرن السابع عشر وترجمتا الطيّبي الذكر الكبير ثاوفيلس نصري اسقف صيدنايا وعبدالله قرألي ودحضُ الآراء الكاثوليكيَّة للبطريرك مكاريوس ابن زعيم الحلبيّ وغير ذلك . وقد حرَّر المرحوم جريدتنا البشير مدَّةً . وكان يُحسن الكتابة الفرنسويَّة وينظم فيها النظم الجيّد . وكان فضلًا عن ذلك واعظاً بليغاً وخطيباً مصقعاً فطلبهُ البطاركة والاساقفة مراراً ليلقي في كنائسهم المواعظ والرياضات التي كان يتوارد اليها نخبة الرجال فضلًا عن جمهور الشعب وكان لايخاف في سبيل خلاص النفوس تهديدات الاشرار كما اثبت ذلك فعلًا في بيروت وعكّار وعمشيت ولعلَّ ما نالهُ من سوء نيَّاتهم كان احد اسباب المرض العُضال الذي مُني بهِ فاحتمل مدَّة سنتين مُمتحنهُ بصبر جميل فمات متقدِّماً حياتهُ كضحيَّة لمجد الله تعالى وخلاص النفوس وكانت وفاتهُ يوم عيد العنصرة ١١ أيار

⁂ على السرقة والسارق ⁂ قرأنا في عدد الكلمة الصادر في نيسان الاخير (ف ٢٤١) نبذة بهذا العنوان « رئيس الاساقفة الكاثوليكي يحلّل السرقة » فاخذنا العجب من تحليل الاسقف المذكور واسرعنا الى قراءة الخبر فاذا بالسيّد هراويني الارثذكسي يصيح بالويل والثبور لأنَّ رئيس اساقفة اوستراليا « السيّد كيلي البابويّ » خطب فيما بين القوم فقال : « اذا كان رجلٌ جائعاً ولسانهُ محترقاً ظمأً يستطيع ان يسلب ما في جيب رجل آخر » روى هذا السيد هراوينيّ واردف روايتهُ بقولهِ : « قد تناقلت الاسلاك البرقيَّة في جميع انحاء المعمور امر هذا التعليم من رئيس اساقفة وقائد امَّة ولكن ما العمل وهذا مبدأ قديم ? سرى عليهِ الباباويّون وجنودهم منذ القديم اذ علموا ان الغاية تبرّر الواسطة » . فيا لله اهذه كتابة اسقف ! او هذا مبلغ علمهِ ! فاين هذا من السرقة ! افلا تعلم أيها السيّد انهُ واجب لازب على الانسان ان يتَّخذ الوسائط ليصون حياتهُ من الموت فان كان انهكهُ الجوع واحترق ظمأً كما رويت كيف تجهل بانَّ كلّ الشرائع الدينيَّة والمدنيَّة تجيز له بان يسدّ رمقهُ بأخذ ما يحتاج اليهِ لذلك وان كان لا واسطة هناك الَّا أنْ يأخذ شيئاً من مال قريبهِ ففعلهُ هذا لم يُعدّ سرقةً لانَّ « الضرورة الماسَّة لا شريعة لها »

فرعاً لدرس الحقوق الدوليّة — ومنها كليّة فوردام (Fordham) الشهيرة بتعاليمها ورئيسها الاب ماك كلوسكي (Mc Gloskey) الشهير بنفوذهِ ومعارفهِ . ومن فروع هذه الكليّة مكتبان كبيران احدهما للطبّ يلحق بهِ مستشفى واسع والآخر لدرس الحقوق ولهم مكتب ثالث لمعالجة الصمّ يعرف بمكتب « افتح » تُعنى بهِ فئة خاصّة (The Xavier Ephpheta) . والكردينال الاميركي فارلي (Cardinal Farley) من تلامذة هذه الكليّة — ومنها الكليّة المنسوبة للاب ماركت اليسوعي مكتشف نهر ميسيسيبي (Marquette University) في ميلوكي (Milwaukee) وقد الحقوا بها في العام الماضي فرعاً لتدريس الطبّ — ومنها كليّة مار لويس (S' Louis University) في بلاد لويسيانا التي جهزوا فيها في العام الماضي مرصداً للمظاهر الفلكيّة مع جهاز التلغراف اللاسلكي يبلّغ الاخبار الى مسافة ١٥٠٠ كيلومتر — ومنها كليّة لويولا (Loyola University) اضافوا اليها في اوّل العام المنصرم مكتباً للصيدلة في نيو اورليان (New Orlean) — ولهم كليّة في شيكاغو شهيرة واخرى في سان فرنسيسكو وقد روى البشير آخراً ان راهبين من اساتذتها الاب روزتين والاب باود توفقا من اختراع مصل شافٍ من داء السرطان

⁂ حمام الزاجل ⁂ مرّت للمشرق (٦: ٨٢٥) مقالة في هذا الحمام وخواصه ومما روت احدى المجلات الاوربية انّ احد الاطباء في بوسطن من حواضر الولايات المتّحدة اذا عاد مرضاهُ استصحب معهُ بعض حمام الرُسل واذا وصف للمريض دواء ورأى في الامر مسيساً اخذ حمامة وكتب وصفة دوائهِ فعلّقها تحت جناحيها ويطيّرها فتذهب مسرعةً الى برجها عند اجزائيّ فيأخذ الوصفة ويعدّ الدواء ويرسلهُ مع احد راكبي الدرّاجات او الاوتوموبيل فبعد دقائق يصل الدواء الى صاحبهِ

⁂ آخر احصاء اليهود في العالم ⁂ نشرت مجلّة العالم الاسرائيلي الفرنسويّة قائمة اليهود في الارض كلها قالت ان مجموع اليهود يبلغ ١١,٨٧١,٧٨٣ نفساً منهم في اوربّة ٨,٨٤٢,٢٦٦ وفي اميركة ١,٨٦١,٤٠٦ وفي آسية ٥٢٢,٦٣٣ وفي افريقية ٣٤١,٨٦٧ وفي اوقيانية ١٧,١٠٦ . ومعظم اليهود الاوربيين في روسيّة حيث يبلغ عددهم ٥,١١٠,٥٤٨ ثمّ النمسة ١,٢٢٤,٨٩٦ ثمّ المجر ٨٥١,٣٧٨ ثمّ المانية ٦٠٧,٨٦٢ ثمّ تركيّة اوربّة ٢٨٢,٢٧٧ ثمّ رومانية ٢٦٦,٦٥٢

ثمَّ ايطالية ٥٢,١١٥ ثم بالمارية ٣٣,٦٦٥ . امَّا اوفر المدن بعدد اليهود فنيويرك وفيها ١,٠٦٢,٠٠٠ يهودي ثمَّ فرسوفيا ٢٥١,٧١٢ ثمَّ بودابست ١٨١,٠٤٧ ثمَّ فينَّا ١٤٦,١٢٥ ثم لندن ١٤٤,٣٠٠ ثم اودسا ١٣٨,٦٣٥ ثمَّ برلين ٩٨,٨٩٣ الخ

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة القس برتردس قيرة ماذا يُعرف عن القديس الباتوس الذي ذُكر استشهادهُ في عين زربه في السكسار الماروني في تاريخ ٣١ كانون الاول

القديس الباتوس شهيد عين زربة

ج بحثنا كثيرًا في كلّ ما لدينا من المطبوعات والمخطوطات عن الشهيد الباتوس العين زربيّ فلم نجد له ذكرًا لا في اعمال القديسين ولا في السكسارات المتعددة ولعل الاسم قد تصحَّف وسنعرض السؤال على الآباء البولنديين الذين لم يفتهم شيءٌ من اخبار القديسين

س سأل الاديب يوسف افندي صفير ان نفيدهُ شيئًا عن ارجوزة العجَّاج

ارجوزة العجاج

ج للعجّاج عدَّة اراجيز منها القافيَّة « يا صاحِ ما هاج الدموعَ الذُّرَّفا » ومنها الجيميَّة « ما هاج احزانًا وشجوًا قد شجا » ومنها الرائيَّة « جاريَ لا تستنكري عذيري » ورائيَّة اخرى بدؤها « يا صاح ما ذكَّرك الأذكارا » ورائيَّة ثالثة اوَّلها « أشيخَ مسحولٌ مع الصبارِ » ومنها السينيَّة « كم قد حسَرنا من علاقٍ عَنْسِ » ومنها البائيَّة « بكيتُ والمحتزنُ البكيُّ » وهذه الاراجيز طبع بعضها في فينَّا المستشرق النمساوي ر. غاير (R. Geyer) ونُشرت في كتاب اراجيز العرب الذي نشره في مصر السيّد محمَّد توفيق البكري سنة ١٣١٣

س وسأل مستفيد اين يوجد كتاب صنعة الكاتب لابي الفرج قدامة بن جعفر وهل طبع الكتاب ومتى كان مؤلفهُ

ج لا ذكر لهذا الكتاب في مخطوطات خزائن كتب اوربَّة كما انّنا لم نجدهُ في جملة تآليف قدامة بن جعفر المذكورة في الفهرست لابن النديم (ص ١٣٠) وقد قيل انَّ منهُ نسخةً في مكتبة باريس لكنّنا لم نجد اسمهُ في فهرست كتبها . امَّا قدامة المقول عنهُ انهُ مؤلفهُ فكان في القرن العاشر للمسيح وتوفي سنة ٣١٠ هـ ل. ش